محمود محمد غريب

هذا نبيك يا ولدي

دراسة تحليلية للرسالة والرسول

افق الاعلام العراقي على نشره في ١٩-٤-١٩٨٠ برقم ٥٧٩
دار الكتاب للطباعة — بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وسلام على النبي المصطفى :

أما بعـــد :

فهذه السطور ليست كتابا في السيرة النبوية الشريفة ، لأنّ مكتبة السيرة غنيّة ببحارها الزاخرة عن الندى .

ولكنّها دراسة في العقيدة الإسلامية تكمّل الرسالة السابقة

« هذه عقيدتك ياولدي »

والتي تقبّلها القراء قبولا حسنا ، والحمد لله .

وقـــد حاولت - في هذه الرسالة - تحليل بعض الأحداث بقدار مايُثبّت العقيدة ، ويدفـع عنها أباطيل الطاعنين ، وشبهات الحاقدين على نبيّ الإسلام وعلى دعوته .

انّ العطاء الكبير - الذي قدّمه نبيّ الإسلام - ﷺ -

لا حدود له .

جاء الحياة فأعطى ... وجاهد ... وأنفق .

جعل غرم الدعوة عليه وعلى آل بيته ، وعلى المقربين من صحابته .

وجعل غُنم الدعوة تركة مُشاعة بين الناس .

أنفق مال السيدة خديجة على الدعوة ،

وأنفق مال عثمان بن عفان ـ صهره ـ على الدعوة .

فلما شُرعت الزكاة حرّمها على نفسه وعلى آل بيته .

وجعل من نفسه وأهله ميدانا لتطبيق مايصعب على الناس قبوله من أحكام الشريعة ـ فقد زوّج زينب بنت جحش ـ ابنة عمته ـ لزيد بن حارثة ـ العبد الذي تبنّاه ـ وما كان في العرب أسرة تقبل مثل هذا الزواج . ولمّا طلقها زيد تزوّجها النبي ـ وهذا أمر في الشريعة أصعب على النفس ـ لانّها مطلقة مُتبناه ـ (١) .

(١) كان العرب يُحرّمون على الرجل أن يتزوج مطلقة ابنه من التبنيّ ـ فلمّا ألغى الاسلام مسألة التبني أجرى التجربة الصعبة على النبي أولا .

وقد حرصت على عمق الفكرة ، وسهولة العرض ، وقوة البرهان ، وأمانة النقل .

والله أسأل أن ينفع بها وأن يجعلها في صحيفة عملي يوم القاه . انّه نعم المعطي ونعم المجيب .

محمود غريب

بغداد الكرخ ـ جامع ومعهد البنيه

كتبت المقدّمة في الروضة الشريفة أمام قبر النبي ﷺ

الفصل الأول

حاجة العالم الى الرسل

اخفاق العقل البشري في محاولة ادراك ماوراء الطبيعة .

رسل الله تحوّل الاخلاق الى سلوك عمـــلي ، وتبلّغ شريعة الله .

ارسال الرسل يقطع حجّة العباد على الله .

اللقاء الاول

عاد وائل الى بيت الشيخ عارف بعد غيبة طويلة قضاها في شمال العراق حيث جمال الطبيعة ، وبرودة الجو ، وعذوبة المـاء .

عاش هناك بين أقوام عكست الطبيعـة الجميلة نفسـها عليهم ، فاستقـام سلوكهم ، وصفت سرائرهم .

ودار الحديث في شوق بين الاستاذ وتلميذه ، وتذاكرا حلو الماضي ، وجمال الايام .

❁ ❁ ❁

وائل : حدثتني كثيرا يافضيلة الشيخ عن الايمان بالله ـ من الناحية العقلية ـ

وقلت لى : انّ الايمان بالله مسألة فطرّية .

ولكنّ السؤال الذي يشغلنى : لماذا أرسل الله الرسل ؟ لماذا فرض الله علينا اتّباع الانبياء ، مع أنّ الاسلام يحترم عقولنـا ؟

الشيخ : ياوائل : ارسال الرسل نعمة عظيمة من الله .

لقد ارسلهم الله ليبلـّغوا للناس مايصعب على العقل البشري

أن يصل اليه .

فالعقل البشرى ياوائل مهيّىء لدراســـة المادة ، وعمار الأراض . وهذا مجاله .

فاذا حاول ان يخترق الكون ليدرك ماوراء المادة فقد عرّض نفسه للخطر .

العقل البشري ـ ياوائل ـ كراكب سفينة . من حقه ان يسير في داخلها كما يريد . . ولكن اذا عزم على الخروج من السفينة الى الماء فقد عرّض نفسه للهلاك .

وائل : لكنّ بعض الناس يُجيد السباحة .

الشيخ : البحر اكبر منهم .

فمن هم الذين يجيدون السباحة ياوائل ؟

هل تعنى الفلاسفة ؟

وائل : نعم ... انـّهم أصحاب عقول كبيرة ، ويمكنهم أن يدرسوا ما وراء البحار .

أعني بحار المغيّبات ، ويمكنهم أن يصلوا الى الحقيقة وحـــدهم .

الشيخ : هؤلاء الفلاسفة ...

فماذا يفعل بقيّة الناس ؟

طبعاً ليس كل الناس فلاسفة ... ياوائل ...

وائل : بقيّة الناس يتّبعون الفلاسفة .

الشيخ : أردت أن تفرّ من الاتّباع .. فوقعت في الاتّباع .

ولكنّك تركت طريقا مُعبّدا آمنا ، وهو طريق الوحي .

وعزمت على السير في صحراء واسعة ..

ماؤها سراب ، وأمانها خوف .

ياوائل

السراب لا يروي الظمآن .

وائل : تعنى أنّ انتاج الفلاسفة العقلى سراب .

الشيخ : فيما وراء الطبيعة كل فلسفة عقلية سراب .

التجربة تقول هذا ...

هل سمعت عن أرسطو ؟

وائل : قرأت عنه ... وقرأت له .

انّه المعلم الأول .. وهو الذي وضع علم المنطق ـ الذي

يعصم الذهن من الخطأ في الفكر ـ وقد توصّل ارسطو الى الايمان بالله عن طريق العقل . .

الشيخ : كل هذا صحيح .

ولكن ارسطو عندما أراد ان يخترق بعقله ماوراء الطبيعة هوي منهجه ، وتهافت فكره .

لقد آمن بالله ايمانا رياضيا ، ليصل بهذا الايمان الى تفسير عقلى للحركة الميكانيكية في الكون .

فايمانه بالله أشبه مايكون بالمعطيات الهندسيّة ـ التى يُعطيها المدرس للتلاميذ ليتوصلوا بها الى حل تمرين هندسىّ .

فهو يفترض وجود الله ليحلّ بهذا الفرض لغز الحركة الميكانيكية في الكون .

ولم يُثبت وجود الله اثباتا برهانيا .

وائل : المهمّ أنـّه توصّل للحقيقة بطريق أو بآخر .

الشيخ : لا ياوائل . .

لم يصل ارسطو الى الحقيقة .

لانـّه تصوّر ان العالم قديم ـ لم يكن معدوما ثم وجد ـ

وتصورُ ان الله لم يخلق العالم ، ولم يُحرِّك فيه ساكنا .

وائل : في تصوره كيف وُجد العالم ؟ وكيف تحرّك ؟

الشيخ : يعتقد ارسطو ان الكون كان في حالة خمول ، ثم رغب في الحركة فتحرّك وحده ...

وائل : « متعجبا »

هذه فلسفة ارسطو ؟

الكون قديم ! ـ والله لم يخلق العالم ؟ . . ولم يُحرّك ساكنه ؟

الشيخ : نعم ياوائل ...

هذه فلسفة المُعلّم الاول .

يتصوّر ان الله كمال مطلق ، والعمل ـ في تصوره ـ طلب لحدوث شيء ، والله غنيّ عن الخلق .

وأرسطو يعتقد أن الله ـ كما انه لم يخلق شيئا ـ فهو أيضا لا ارادة له .

لأنّ الارادة ـ في تصوره ـ اختيار أمر من أمرين ، والله غنيٌّ عن الامرين .

ارسطو يتصوّر أنّ الله يعيش سعيداً بنعمة بقائه فقط ، لا علم له بالكون ، ولا سلطان له عليه .

وائـل : أرسطو ؟ !!

الشيخ : انّه بشر ... وعقل البشر مهيّيء لدراسة المـادة فقط لأنّ فيها حياته .

* * *

عباقرة اليونان ـ ياوائل ـ آمنوا بآلهة متعددة ـ وهم أرقى الشعوب حضارة فكرية ـ

اله للخير ، واله للشر ، واله للمطر ، و ... و ...

حتى الخمر .. جعلوا لها الهاً

وكانوا يحتفلون بمولد اله الخمر عند ظهور العنب ، ويقيمون المـآتم عندما ينتهي موسم العنب .

وكانوا يعتقدون أنّ اكثرهم طاعة لاله الخمر هو اكثرهم ادمانا لشرب الخمر .

هذه حقيقة العقل البشري ، وهذا انتاج الفلسفة في عصر الحضارة اليونانيّة .

فكيف بعصور الظلام ؟

يدخل هشام ولد الشيخ عارف بطبق فيه عنب .
فيضحكون جميعا ، وينشغلون بالطعام .

* * * *

اللقــاء الثانى

وائل : كنت أعتقد أنّ العقل البشري هو كل شيء .

عارف : كل من في سنك يرى عقله وعلمه .

فاذا تقدّم به السنّ يُدرك الحقيقة ، فيتضاءل أمامه اليوم ما رآه عظيما بالأمس .

العلم كالبحر ، من نزل في أوّله يتصوّر أنّه يمكنه أن يعبره بأمان ، ولكن كلما بعد عن الشاطىء يدرك ضعفه ، ويشعر بعمق البحر .

والدنيا بحاجة الى قوّة الشباب ، وحكمة الشيوخ .

وهناك أسباب أخري لارسال الرسل .

وائل : لا أظنكَ تبخل علينا يافضيلة الشيخ .

عارف : هل تصلح الدنيا بلا أخلاق ؟

وائل : لا

فالأخلاق أمان للمجتمع ، ثمارها حُبّ ، وغايتها سعادة .

انما الامــم الاخلاق ما بقيت

فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

عارف : الانبياء وحدهم هم الذين يستطيعون وضع قانون أخلاقي كامل . ويعملون على تحويله الى سلوك .

فدور الانبياء لا يقف على تعليم الناس قضية الحلال والحرام ولكنه يتعدي هذا الامر الى أمر أجل - وهو تحويل الاخلاق من فكرة نظرية الى سلوك عملي .

ولولا الانبياء لأصبحت الأخلاق مجرد شعارات جوفاء ، وأناشيد تردد في الصباح والمساء .

لقد كان النبي - ﷺ - قرآنا - يمشي بين الناس كان يهدى بفعله كما يهدى بقوله . حتى كان فعله نموذجا حيا للاسلام ، وكان فعله تصديقا لقوله ، لان الانفصال الذي يقع بين الفعل والقول يبطل الدعوة الى الخير ، ويذهب أثرها .

الاسلام - ياوائل - لا يعرف الاخلاق النظرية ولا يقبل انفصال الكلمة عن الفعل . قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون » ؟ «

كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون »

وكان النبي يقدر هذا ويعلم أنه أسوة للمسلمين ، ويعلم أن

أفعاله حجة وأنه منظور اليه لذلك كان يتجنّب مواطن الشبه .

فقد مرّ عليه رجلان وهو يتحدث معزوجته السيدة صفيّة في المسجد ليلا ، فأسرعا ...

فقال لهما النبي : على رسلكما .. انّها صفية زوجتي .

ثم قال : ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم . فخفت أن يقذف في قلبيكما شيئا . رواه البخاري

● ● ●

كان النبي يُحوّل الاخلاق الى سلوك عملى ، ويضع القدرة للناس .

كان رحيما بأمّته ليعلمهم الرحمة ، فقد كان يشعربألمها ، ويشق عليه مايشق عليها ،

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم »

فعنتهم يشق عليه . آخر التوبة

وكان يدع العمل وهو يُحبُ أن يعمل به خشية أن يُفرض على أمته . أو خشية ان يُقلدّه الناس فيشق ذلك عليهم . بل

كان ينهاهم عن بعض الاعمال التي يعملها هو ـ كصوم الوصال ـ (١) رحمة بهم .

وقد استطاع ـ ﷺ ـ أن يُحوّل قاموس الاخلاق الى مجتمع أخلاق ، فاقت واقعيته مثالية الفلاسفة .

★ ★ ★

وائل : لكن الضمير الاخلاقي منهج سليم ، وهو فطري في النفس ، فهل يكفي لتقويم السلوك ؟

عارف : الضمير الاخلاقي ، والدعوة الى الاكتفاء به ، فكرة ابتدعها علماء الغرب لتحلّ مكان الدين في نفوس الشباب بعد أن ثارت أوربا على الكنيسة ، واضاعوا سلطانها من النفوس .

وهذا لا يمنع أن الاسلام عرف هذا النداء الداخليّ في الانسان منذ عهد الوحي ، وسمّاه القرآن « النفس اللوّامة »

(١) صوم الوصال ـ هو أن يواصل الصوم أكثر من يوم بدون افطار ـ وكان النبي يصومه . ونهى أمته عنه وقال لهم : أبيت يُطعمني ربي ويسقيني .

وأقسم بها الله ـ سبحانه ـ تكريما لها .
ولكن الضمير الاخلاقي لا يعني أبداً الاستغناء عن دعوة الرسل ـ عليهم السلام ـ
لان الضمير ـ ياوائل ـ يتأثر بالبيئة التي يتربّى فيها .
ولون الثقافة التي يجمعها الانسان .
والمذهب الاقتصادى والاجتماعى الذي ينتمى اليه .
فالرجل المسلم كم يشعر بالسعادة عندما يُقسّم تركة ميت حسب الشريعة الاسلامية .
يعطى كل مصاب بالميّت ما يُعزّيه ويسدُّ بعض حاجته .
بينما يتألّم الرجل الشيوعى عندما يرى تقسيم التركة ، لأنه لا يؤمن بالميراث ، ويراه تفتيتا للتركة . (١)
فالضمير يختلف باختلاف المذهب الاقتصادي والاجتماعى .
كما يختلف بالعقيدة التي يؤمن بها صاحبه .

١ ـ الاسلام عندما يفتت تركة الميت على الورثه فانه يدفع كل وارث للعمل ليعيد تكوين تركة تسدّ فراغه ، فهي دعوة للعمل والانتاج .

والرجل المسلم يذوب من الاسي عندما يتذكر يوما انحرف فيه وشرب كأسا من الخمر ...

بينما لا يتحرك ضمير رجل الغرب لو شرب خمر الدنيا كلها.

فالضمير لا يكفي لوضع منهج أخلاقي ثابت ، لان الضمير نشكله باللون الذي نرتاح له .

فبمقدار حاجة الدنيا الى الاخلاق تتجلى حاجتها لدعوة الرسل .

* * *

والناس ـ ياوائل ـ بحاجة الى شريعة الله ، كحاجتهم الى رزقه .

لان النفس الانسانية متعددة الملكات ، متشعبة الغرائز .

ولا يستطيع البشر ان يضع لها تشريعا يشبع كل ملكاتها .

فمقدار حاجة الناس الى قانون ثابت يحكمهم ، ويشبع كل جوانبهم النفسية ، نراهم بحاجة الى شريعة الله .

وتجارب التشريعات الارضية تثبت ان التشريع الذي يصلح لليوم لايصلح لغد .

لان المشرّع ـ من الناس ـ يعلم مامضى ولا يعلم المستقبل .
فكيف يضع تشريعا لحل مشاكل الغد ـ وهو لا علم له بها؟
كما أنه يضع القانون للجماعة التي تحيط به فقط ، لان
مايصلح لرجل الشرق لايصلح لرجل الغرب ، وهذا يتنافى
مع اقامة مجتمع عالمي يعيش في سلام .

ولا يفوتني أن أذكر لك فارقا أخيراً ، وهو أن التشريع
الارضي يوضع لحكم الناس فقط .

أمّا شريعة الله فتهدف الى تربية النفوس وتساميها ، مع
دورها في حكمهم وتأديبهم .

فالمسلم لايسرق ولو أمن من قطع اليد . لأنّ الشريعة مزجت
بين المحرّمات وبين الخوف من الله . مزجت بين قطع اليـــد
وبين النكال من الله .

قال تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما
كسبا نـكالا من الله والله عزيز حكيم . « ٣٨ المائدة »

فلو نجا من القطع فلن ينجو من النكال .

والمقارنة بين الشريعة والقانون تعني المقـــارنة بين حارس

مسلح ، وبين نصب يضعه الفلاّح في الحقل على صورة رجل لتخافه الطيور فلا تسقط على الحب .

فالناس بحاجة الى شريعة الله بمقدار حاجتهم الى شريعة عالمية المساحة ، خالدةالثبوت ، حيّة العطاء مؤدبةوحاكمة .

وائـل : كنّا نعتقد أن العقل البشري كل شيء ... وكنا نتصور أنّ الشريعة جاءت لفترة ثم أدت أكلها واستغنى الناس عنها .. فما أحوجنا الى منهج السماء .

* * *

عارف : هناك سبب رابع لارسال الرسل :

وهو تطبيق عدل الله ورحمته بالناس .

ان الله لايسوّي بين الطائع والعاصى . ولا بين أهل الخير والاشرار .

ولو حاسب الناس ـ في محكمة العدل المطلق ـ من غير أن يرسل اليهم رسلا لكان للناس حق الاعتراض .

وكان من حقهم أن يقولوا : « ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى » ١٣١ طه

وائـل : هذا صحيح ... فلا جريمة بلا نص .

عارف : من أجل ذلك أرسل الله الرسل ليقطع حجج الناس.

« رسلا مُبشّرين ومُنذرين لئلاّ يكون للناس على الله حُجّة بعد الرسل » ١٦٥ النساء

وائـل : لا حُجّة لنا على الله .

فالرسل شهود علينا ، وكتاب الله بيننا ، ومع ذلك فالله قد احترم عقولنا ، لانّ الرسل لم تُحرّم شيئا يقول العقل انه حلال ، ولم تُحلّ شيئا يقول العقل انّه حرام .

آمنت أنّ تقليد الانبيـــاء عصمة من الضلال ، ومنهجهم سلامة من الزيغ . واستودعك الله على أمل اللقـاء

الفصل الثانى

حاجة العالم الاسلام في القرن السادس الميلادي

الفرس : الهدى في غير معابدهم .

الروم : ترودت النصرانية ، ولم يتنصر الرومان .

اليهود : حملوا التوراة ثم لم يحملوها .

العرب : حاجتهم للرسالة تعدل حاجة العالم كله .

في صباح يوم من أيام الربيع جلس الشيخ عارف بعد صلاة الصبح يرتل بعض آيات القرآن ، بينما انشغلت « ساجدة » زوجته باعداد الطعام .

وطرق الباب طارق من الجزيرة ، تناولوا جميعا الطعام ، ودار حلو الكلام .

● ● ●

الشيخ : كيف حال الناس في الجزيرة ياشيخ سرحان ؟

سرحان : الحمد لله . نزل الغيث من بعدما قنطوا ، ونشر الله رحمته .

الشيخ : هذه سنة الله في الكون

المطر يأتى بعد الظمأ ، والنصر بعد الصبر ، والفرج بعد الكرب ...

كل هذه نماذج للرحمة الخاصة ..

أمّا الرحمة العامة ـ التى أشرق نورها بعد طول الظلام فهى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

لقد عاش العالم قرونا طويلة يبحث عن النور .

فالدارس للتاريخ ـ ياشيخ سرحان ـ يرى أنّ القرن

السادس الميلادي ومطلع القرن السابع كان الظلام قد وصل فيهما إلى كل بقعة في الأرض ـ وضعف نور الاديان السماوية فلم تستطع أن تهب الناس هديا على الطريق .

سرحان : الفرس كانت تعبد النار ، واستولى رهبانها على أرزاق الناس مما جعل عقلاء الشباب يخرج منها ويبحث عن الهدى في غير معابدها كسلمان الفـــارسى ـ رضي الله عنه ـ

سرحان : فماذا عن الروم ياشيخ عارف ؟

عارف : الروم دخلت الديانة النصرانية وهي مثقلة بأوزار الوثنية ، وعقائدها الفاسدة ، والاناء القذر لو وضعنا فيه حليباً يفسد الحليب ،فاستطاعت الروم ان تروم النصرانية ، ولم تستطع النصرانية ان تنصر الروم .

ولو درست مجتمع (نيقية) الذي عقد في عام ٣٢٥ لمعالجة الخلافات التى ظهرت في الديانة النصرانية بسبب دخول

راجع محاضرات في النصرانية لاستاذنا الكبير (محمد أبو زهره) ص ١٣٩ ، ص ١٥١ .

طوائف وثنية من الرومان واليونان والمصريين فيها .

وقد ناقش هذا المجمع قضية ألوهية السيد المسيح ، وبعد صراع طويل يمكن أن تقرأه في كتب تاريخ الرومان .

استطاع المجمع ان يتخذ أول قرار بألوهية المسيح بعد أن كانت المسيحية ديانة توحيد لمدة ٣٢٥ سنة .

● ● ●

وفي عام ٣٨١ اتخذ القرار الثانى بألوهية روح القدس في المجمع القسطنطيني وأصبحت الآلهة ثلاثاً بعـــد أن كان المسيح يدعو الى التوحيد الخالص .

فالديانة النصرانية الجديدة لم يُصبح لديها من القـــدرة ماتضيء به للناس الطريق .



اليهود

حملوا التوراة ... ثم لم يحملوها .

كلفوا أمانة توصيل النـــور الى الناس فأطفأوا مصابيح

قلوبهم ، فماذا يمكن ان يقدموا للناس ؟

حرّفوا من دينهم مالا يتّفق مع مصالحهم الوضيعة.

وشوّهوا صورة أصحاب الرسالات ـ من الانبياء الكرام ـ ليبطلوا جانب الأسوة والمثل الأعلى.

كما جعلوا البيع مثل الربا . وفرّ رجال الدين من معابدهم ليسيروا في الركب المادي بعد ان فلتت القيادة من أيديهم .

ولم يبق لهم من دين الله الا شعارات كاذبة استباحوا بها دماء الناس وأموالهم .

فاليهودية أيضا عجزت عن مدّ العالم بشعاع من نور الله .

★ ★ ★

سرحان : والعرب ياشيخ عارف ؟

لماذا لم تتكلم عنهم ؟

عارف : العرب حجبهم عن الهدى السماوي البُعْدُ السحيق بين ابراهيم ـ عليه السلام ـ وبين محمد ـ ﷺ ـ والذي يُقدَّر بآلاف السنين .

سرحان: لكن سلسلة من الأنبياء بُعثوا في وسط هذه المدّة

موسى وداود وسليان وعيسى وغيرهم .

عارف : هؤلاء جميعا بعثوا لبنى اسرائيل فقط .

فدعوتهم خاصة بأقوامهم .

« واذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أني رسول الله اليكم » ٥ الصف

فرسالة موسى لقومه فقط ـ وكذلك رسالة المسيح .

« واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل إني رسول الله اليكم » ٦ الصف

أمّا العرب فقال عنهم القرآن : «لتُنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك » ٤٦ القصص

لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » ٦ ياسين

لقد كانت الأمة العربية أسوأ العالم حالا ، وأحوجه الى رسول .

لقد عبدوا الحجر ، وأكلو القذر ، وسفكوا الدماء ، ووأدوا البنات ، ولعب الخمر بعقولهم ، فاستعبدوا الأحرار ، وأكلوا القمار ، واستباحوا الربا ، فماذا

بقى لهم ؟

ياشيخ سرحان : لقد كان العالم كله بحاجة الى نبي يُخلّصه من الضلال ، وينقذه من الهاوية .

وكانت حاجة الامّة العربية وحدها كانت تعدل حاجة العالم كله . فمن الناحية الدينية :

سجد الانسان للصنم ـ الذي صنعه بيده ، وطلب منه جلب الخير ودفع الضرّ ، مع أن الذباب ان يسلب آلهتهم شيئا لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب .

سرحان : وأين ما ورثوه من دين ابراهيم ؟

عارف : لم يبق منه سوى بعض الشعائر ـ التي خلت من الروح ـ وأفسدتها البدع .

وحسبك أن تعلم أن الحج تحوّل الى تعظيم للأصنام ، وان الطواف بالبيت كان يتمّ وهم عرايا .

الشباب عرايا ، والنساء عاريات ، وتحولت التلبية الى تصفيق وتصفير . « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكاء وتصدية » ٣٥ الانفال

كيف تصفو الروح في جوٍّ من التصفيق والخمر والنساء العاريات ؟

● ● ●

والجانب الاقتصادي لايقل سوءا عن الجانب الديني .

لقد جاور العرب اليهود فتعلموا منهم الربا . وبالغوا فيه فأكلوه أضعافا مضاعفة حتى كان المدين يُباع مع أنه حرٌ وذلك من أجل سداد دينه .

ونشأ عن سوء الاحوال الاقتصادية عملية الإغارة على الآمنين وسلب أموالهم ، واستعباد ضعفائهم .

وفي جوّ الرعب والقلق تنتشر الخمر التماسا للسكينة ، ولكنها علاج للداء بالداء . فقد قلبت موازين الامور وهوّنت الفحشاء على النفوس فظهرت تجارة الجسد .

رُوِيَ أن جماعة سقوا امرأة خمراً فلما لعبت الخمر برأسها سألتهم : أتشرب نساؤكم من هذا الشراب ؟

قالوا : نعم .

قالت المرأة : والله ان أحدكم لا يدرى مَن أبوه .

ان الخمر تُحسّن القبيح... وتُقبّح الحسن.

قال ابو النواس :

اسقني صِرفا حميا   تترك الشيخ صبيا
وتُريه الغيّ رُشداً   وتُريه الرُشد غيّاً

ففساد العقيدة دفعهم الى الربا .

وهموم الربا دفعتهم الى الخمر .

وإدمان الخمر جرّ عليهم الباقي من البلاء .

لذلك كان كل شيء يؤكد الحاجة الى نبيّ جديد .

● ● ●

الفصل الثالث

العالم بحاجة الى نبى ّ .

الكتب المقدسة وتبشيرها بهذا النبي ّ .

أخلاق محمد – ﷺ – ترشحه لأمر عظيم .

السيدة خديجة استدلت بأخلاق النبى ّ على نبوّته

هرقل : لو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

هشام : كنت أستمع الى القرآن الكريم فوقفت عند قوله تعالى للنبىْ ـ ﷺ ـ وإنـّك لـَعَلى خُلـْق عظيم .
لماذا لم يقل القرآن : إن خلقك لعظيم .

الأب : كلمة (على) تفيد الاستعلاء والتمكن .
فكأنالنبـــىّ تمكن من الاخلاق كما يتمكـّن الفارس من الفرس .
وهو يحكمها بفطرته ، بينما الاخلاق تحكم غيره من الناس لأن النبىّ تبدأ كمالاته النفسية من حيث ينتهى قانون الاخلاق .

هشام : تعنى ـ يا أبى ـ أن النبى يُوجّه الإخلاق الى حيث يريــــد ؟

الأب : أجل ياهشام .
لقد ابتدأ النبىّ رحلته الاخلاقية من حيث انتهت المكارم الانسانية ، وذلك ليُتمّم مكارم الاخلاق :
« إنمـابُعثت لأتمّم مكارم الاخلاق »

هشام : لكننى أعلم ان كل نبيّ على خلق عظيم ،

فكيف يُتمّم النبي مكارم الاخلاق ؟

الأب : لقدعشتُ مدّة طويلة لا أستطيع الاجابة على هذا السؤال، حتى فتح الله عليّ بفهم للموضوع أشرحه لك.

* * *

السيد المسيح ـ عليه السلام ـ عالج قضية الاخلاق واهتمّ بها . ورسم منهجا لتهذيب أتباعه فقال لهم :

أحبّوا أعداء كم ،وباركوا لاعينكم،واحسنوا الى مُبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم.

انجيل متى / ٥ / ٤٤

وقال : واذا ضربك رجل على خدّك الأيمن فأدر له خدّك الايسر .

وهذه الوصايا خُلُق عظيم، ولكنها أخلاق مثالية وليست أخلاقا واقعية ... لأن كثيرا من الناس لا يقوى على تنفيذها هذا من ناحية ـ

ومن ناحية أخرى ليس كل الناس بدرجة واحدة من السموّ تجعلهم يستحون ويرتدعون لو أدرنا لهم الخدّ الايسر.

هناك بعض النفوس لو أكرمتها ملكتها .

وان عفوت عنها كان عفوك عن خطئهم أشد عليهم من السياط .

ولكن هناك بعض النفوس ان اكرمتها فسدت ، وان عفوت عنها طمعت فيك ، وان رفعتهم الى السماء سدوا باب السماء عنك ، وهذا الصنف الحقير لا يُصلحه أن ندير له الخد الايسر كما قال السيد المسيح ، بل يُصلحه أن نؤدبه .

يُحكى ـ في الادب الرمزى ـ أن رجلا اشـــترى صنما وعكف على عبادته ، وترك تجارته وزراعته .

فلما أصابه الفقر ، وضاقت به الحياة ، قام على الصنم فدق رأسه وهشمها .

فلما كسر رأس الصنم وجد به كنزا من الذهب أودعه فيه أحد الناس ثم مات .

فقال الرجل لصنمه :

ما ألامك .. أكرمتك فأفقرتنى ، وحطمتك فأغنيتنى ؟

هذا الطراز الحقير من النفوس لا يصلح معها ، ولا يصلحها قانون المثالية .

ولكن يصلح معها بل ويصلحها قانون العدل .

يصلح معها قوله تعالى : وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به . ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » ١٢٦ النحل

وقوله تعالى: ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل» ٤١ الشوى

فالاسلام جعل القصاص من الظالم ـ بالطريقة المشروعة ـ لون من الاخلاق ، مع عدم اهماله الترغيب في العفو .

فمن عرفنا أن العفو يصلح نفسه ويهذبها فالعفوعنه أفضل.

ومن عرفنا صفاقة وجهه ، وقبح سريرته ـ من الذين يفهمون أن العفو عنهم ضعف أو خوف منهم ـ فالعدل معهم أفضل ، وربما يزجرهم القصاص .

فالاسلام حـــوّل الأخلاق من مثالية فلسفية ، الى واقعية عملية ، لتشمل كل الناس ، وتعالج ضعاف النفوس .

وهذا معنى كون النبي ـ ﷺ ـ بعث ليتمم مكارم الاخلاق. فقد وسع دائراتها ، وعمم عطاءها .

ياهشام .. هذه الآية الكريمة « وانك لعلى خلق عظيم »

تعتبر أصلا كريما من أصول الدين .

انها تؤكد صدق نبوة محمد - ﷺ -

انها ليست مجرّد امتداح لاخلاق النبي ..

ولكنها نزلت في الايام الاولى من الوحي لتسوق دليلا عقليا على نبوة محمد - ﷺ

بل لعل هذه الآية هي أول دليل ساقه القرآن الى العقل البشرى لاثبات صدق النبي . فقد نزلت بعد سورة المزمّل - اي في الايام الاولى من الوحي .

هشام : ما علاقة الآية الكريمة باثبات نبوة سيدنا محمد ؟

الأب : الامر سهل . ان شاء الله .

الآية تقول للمشركين : أنتم تعرفون محمداً قبل يوم « اقرأ باسم ربك »

وتعرفون أنه على خلق عظيم - بشهادتكم له قبل الرسالة — وأول ماتفرضه عليه أخلاقه العظيمة ان يكون صادقا . وانتم شهدتم له بالصدق - بل سميتموه صادقا .

والصادق اذا اخبركم باصطفاء الله له لماذا تكذبونه ؟

لقد تناقضتم مع أنفسكم . عندما كذّبتم محمدا .

هشام : أظنّك يا والدي أول من استدلّ بأخلاق النبي على نبوّته ؟

الأب : لا ياهشام .

لقـــد استدلّت السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ بأخلاق النبى على نُبوته .

فعندما نزل الوحى لاول مرة على النبى - ﷺ -

ذهب النبىّ الى خديجة خائفا يقول لها :

زمليني ودثريني ...

فلما ذهب عنه الروع قال لخديجة : لقد خفت على نفسى .

وهنا تجلى ذكاء السيدة خديجة ، ودار بخلدها ماضى النبى الطويل ـ الذي عاشته معه ، وأخلاقه الشريفة ـ التي لمستها عن قرب ـ بل التي كانت سببا في زواجها منه .

عند ذلك قالت له : أبشر فوالله لن يخزيك الله أبداً ..

إنك لتصل الرحم ...

وتصدق الحديث ...

وتحمـــل الكلّ ...

وتكسب المعدوم ...

وتـُقرى الضيف ...

وتعين على نوائب الدهر ...

مقدمات ثابتـــة توصلت بها الى البشارة الصادقة ، لن يخزيك الله أبداً .

وقدمت البشارة على المقدمات لتعجيل البشرى .

أوهو الاستدلال العقلى الراجح بأخلاقه الشريفة على إكرام الله له .

فالسيدة خديجة هى أوّل مَن استدلّ بأخلاق النبى -ﷺ- على نبوّته .

* * *

ومن الذين استدّلوا بأخلاق النبى على نبوّته أيضا «هرقل» - ملك الروم -

هشام : وماذا كان من أمر هرقل ؟

الأب : زار ابوْ سفيان بن حرب الشام - قبل إسلامـــه -

واستضافه هرقل ، وسأله عن النبى الذي ظهر في بـــلاد العرب.

هرقل : هل كان ابن ملك ؟

ابو سفيان : لا

هرقل : لو كان ابن ملك لقلنا إنه يريد أن يُعيد ملك آبائه.

وسأل هرقلُ :

هل يكفر احد اصحابه بعد ان يؤمن به ؟

ابو سفيان : لا ... إنهم يزيدون دائما ...

هرقل : هل كان يكذب في شبابه ؟

ابو سفيان : لا .. لقد اشتهر بالصادق الأمين .

هرقل : والله .. ما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله . ولئن كان ما تقول حقا فهو نبيٌ، وسوف يملك مكان قدمى هاتين.

كنت أعلم أن نبيا سيظهر ..ولكن ما كنت أعلم أنه منكم. ولو كنت أعلم أن قومي يتركونني أذهب اليه لتجشّمت عناء السفر لزيارته .

ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

هشام : وهل أسلم هرقل ـ يا أبي ـ ؟

الأب : لا ياهشام ...

لقد خشي ثورة الرومان ـ ومات على دينه .

⊠ ⊠ ⊠

هشام : ولكن كيف عرف هذه الأشياء ؟

الأب : هرقل كان نصرانيا ، وكان على علم بالكتب السماوية ، وكان يعلم ـ نتيجة دراسته لهذه الكتب ـ أن نبيا سيظهر ، وأنه سيرث الارض ، وأنه خاتم النبيين .

هشام : هذا موجود في كتبهم ؟

الأب : واكثر من هذا موجود في الكتاب المقدس ، ولكن يد المترجمين لعبت دورا خطيراً في طمس البشارات .

اقرأ ياهشام كتاب « عقائدنا » للدكتور محمد الصادقي ، وكتاب « نبوّة محمـــد من الشك الى اليقين » للدكتور فاضل صالح السامرائي ، وكتاب «اظهار الحق» للشيخ رحمة الله الهندي ، وكتاب «هداية الحيارى من اليهود والنصارى»

للأمام ابن قيم الجوزية ، وكتاب «محمد في التوراة والانجيل والقرآن » للاستاذ ابراهيم خليل أحمد والذي أسلم وأصبح عضواً في مجمع البحوث الاسلامية بعد أن كان قسيساً .

اقرأ ـ ياهشام ـ فالكتاب استاذ أمين

هشام : فان لم يُصبها وابل فطل ...

الأب : أحسنت الطلب ياهشام .

لقد بَشَّرت التوارة بنبينا محمد ببشارات عديدة أختار لك بشارة واحدة منها .

جاء في سفر التثنية اصحاح ١٨ قول الله لموسى عليه‌السلام :

اقيم لهم نبيًّا من وسط اخوتهم ، مثلك ، واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما اوصيه به .

وواضح من هذه البشارة ان النبي الذي سيرسله الله ليس من بني اسرائيل لانّه لو كان من بني اسرائيل لقال الله لموسى: اقيم لهم نبيا منهم .

وابناء اسماعيل هم اخوة ابناء يعقوب وأبناء عمومتهم .

وفي البشارة انّه نبي مثل موسى ـ أي صاحب شريعة

كشريعة موسى ـ

وهذا الوصف لم ينطبق على احد بعد موسى الا على محمد ـ ﷺ ـ والتوارة تشهد بهذا في سفر التثنية اصحاح ٣٤ فتقول : ولم يقم بعد ذلك من بني اسرائيل مثل موسى .

الوصف الثالث في البشارة ان النبي ـ الذي سيرسله الله ـ يتلقى الكلام في فمه وذلك لانـّه لا يقرا وهذا(١) واضح في نبينا محمد ـ ﷺ ـ .

بشارة الانجيل

امـّا الانجيل فقد بشر بنبوة محمد ﷺ جاء في انجيل يوحنا ان السيد المسيح قال لتلاميذه :

أنا أسأل الآب (٢) فيعطيكم (بارقليط) آخر ليقيم بينكم الى الابد .

هشام : ماذا تعني كلمة (بارقليط) ؟

---

(١) راجع نبوة محمد للدكتور فاضل السامرائي ص ٢٥٢ .

(٢) الآب ـ بالمد كلمة يونانية معناها الخالق وليس معناها الوالد لان الاب بمعنى الوالد مقصورة وليست ممدودة .

الاب : يمكن ان تفهم معناها بتوسّع لو قرأت كتاب « رسول الله في الكتب السماوية ص١٥٤ » وكتاب « قصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار » .

ولكن تحت يدي الآن حوار لطيف جرى بين الاستاذ فتحي عثمان وبين الدكتور « كارلو » استاذ الادب اليوناني القديم :

فتحي : ما معنى كلمة « بارقليط » التي ذكرها الانجيل - يا دكتور « كارلو » ؟

الدكتور : رجال الدين المسيحي يقولون : إن معناها « المُسلي أو المعزي » .

فتحي : لكنني أسأل الدكتور « كارلو » استاذ الادب اليوناني القديم ، فماذا تقول انت .. ؟

الدكتور : اقول : بارقليط - ترجمتها - الذي له حمدٌ كثير .

فتحي : يعني معناها افعل تفضيل من كلمة « الحمد » .

الدكتور : نعم ... هي كذلك .

* * *

الاب : أُذكر ياهشام افعل التفضيل من كلمة ـ عَلِمَ و كَـرُمُ وحَلُـمَ .

هشام : أعلم وأكرم وأحلم .

الاب : وافعل التفضيل من كلمة « حمد » ؟

هشام : « احمد »

الاب : كلمة « بارقليط » ترجمتها الحرفية « احمد » وهـذا سرُّ عبارة القرآن الكريم على لسان عيسى ـ عليه السلام ـ « ومُبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد » ٦ الصف وهذه دِقّـةٌ عجيبة في بشارة القرآن بمحمد ـ ﷺ ـ مع انّ النبى لم يدرس الاناجيل ، ولم يدرس الترجمة .

هشام : إنه وحي السماء .. اشهد انهذا القران من عند الله

ساجدة : ارهقت والدك ياهشام ، واخذت حقّنا وحقّك ، ألم تشبع ؟

هشام : طالبان لا يشبعان : طالب العلم وطالب المال .

ساجدة : الافضل ان يتم الحديث في المساء لنستفيد جميعا .

هشام : دائما رايك سديد ياامي

الاب : وانا يا هشام ؟ « ويضحك الاب »

هشام : أعظم دليل على إصابة رايك ، وعمق بصيرتك هو اختيارك لامّي زوجة لك ، ومُربّية لاولادك ٠

الاب : ايضا هذا مدح لامّك ياهشام ـ اكرمك الله ـ

يضحك الأب وتضحك الأسرة

* * *

وفي المساء اجتمعت الاسرة على حب وهناء، وواصل الاب من الحديث ما انقطع .

ساجدة : يحضرني سؤال حول الآية الكريمة « وإنك لعَلى خلق عظيم »

لماذا لم يبدا القران بمدح عقيدة النبي اولا ، ثم شريعته ، ثم اخلاقه ؟

لماذا بدا بالاخلاق ؟

عارف : ياساجدة : العقيدة السليمة تدفع صاحبها للعمل الصالح . لان العقيدة بلا عمل نون من الايمان العقيم . وقد رفض القرآن دعوة الاعراب ـ عندما ادعوا الايمان

الاب : أُذكر ياهشام افعل التفضيل من كلمة ـ عَلِمَ و كَـرُمُ وحَلـُمَ .

هشام : أعلم وأكرم وأحلم .

الاب : وافعل التفضيل من كلمة « حمد » ؟

هشام : « احمد »

الاب : كلمة « بارقليط » ترجمتها الحرفية « احمد » وهـذا سرُّ عبارة القرآن الكريم على لسان عيسى ـ عليه السلام ـ « ومُبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد » ٦ الصف وهذه دِقـّةٌ عجيبة في بشارة القرآن بمحمد ـ ﷺ ـ مع انّ النبي لم يدرس الاناجيل ، ولم يدرس الترجمة .

هشام : إنه وحي السماء .. اشهد ان هذا القران من عند الله

ساجدة : ارهقت والدك ياهشام ، واخذت حقّنا وحقّك ، ألم تشبع ؟

هشام : طالبان لا يشبعان : طالب العلم وطالب المال .

ساجدة : الافضل ان يتم الحديث في المساء لنستفيد جميعا .

هشام : دائما رايك سديد يامي

الاب : وانا يا هشام ؟ « ويضحك الاب »

هشام : أعظم دليل على إصابة رايك ، وعمق بصيرتك هو اختيارك لامّي زوجة لك ، ومُربّية لاولادك ·

الاب : ايضا هذا مدح لامّك ياهشام ـ اكرمك الله ـ

يضحك الأب وتضحك الأسرة

* * *

وفي المساء اجتمعت الاسرة على حب وهناء، وواصل الاب من الحديث ما انقطع .

ساجدة : يحضرني سؤال حول الآية الكريمة « وإنك لعَلى خلق عظيم »

لماذا لم يبدا القران بمدح عقيدة النبي اولا ، ثم شريعته ، ثم اخلاقه ؟

لماذا بدا بالاخلاق ؟

عارف : ياساجدة : العقيدة السليمة تدفع صاحبها للعمل الصالح . لان العقيدة بلا عمل نون من الايمان العقيم . وقد رفض القرآن دعوة الاعراب ـ عندما ادعوا الايمان

وواقعهم يتنافى مع حقيقته (*)

(*) ذكر القران واقع الاعراب ــ وهم سكان البادية ــ فقال عن عقيدتهم : «الاعراب اشدّ كفرا ونفاقا» ٩٧ التوبة وقال عن كراهيتهم للزكاة : «ومن الاعراب ما يتخذ ما ينفق مغرما» . ، وقال عن كرههم للجهاد مع رسول الله «وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم» . وقال عن جهلهم بكتاب الله وشريعته واجدروا الا يعلموا حدود ما انزل الله على رســــوله . وقال عن وضعهم الاجتماعي في ظل الدولة . ومن حولكم من الاعراب منافقون »

كان هذا حالهم حتى السنة التاسعة من الهجرة ــ وهي السنة التي نزلت فيهــا سورة التوبة ــ التي فضحتهم ــ لذلك رفض القران دعواهم الايمان . لان الايمان سلوك وطاقة . قالت الاعراب امنا ... قل : لم تؤمنوا ولكن قولوا اســـلمنا .. ولما يدخل الايمــان في قلوبكم . ١٤ الحجرات =

= رفض ايمانهم، ودمجهم في صفوف المسلمين فقط على امل انطباعهم « لمّا يدخل الايمان في قلوبكم » وكلمة لمّا تفيد عدم حدوث الشيء في الزمن الماضي مـــع توقّع حدوثه في المستقبل . فلا وزن لايمـان عقيم لا ينجب سلوكا عمليا .

ولا يغيب عن القاريء الكريم . ان الأعراب هم اول من ارتدّ بعد النبي ،وذلك لعدم تمكن الإيمان في قلوبهم بسبب بُعـــد سكنهم عن مسجد النبي،وحرمانهم من توجيهاته وتربيته ـ التي حظى بها أصحــابه فأصبحوا مشاعل على الطريق .

ولأن حيـاتهم كانت تـُحبّب لهم العزلة والتحرر من الارتباط بالدولة .

وناهيك بجفوة قلوبهم وغلظة البادية التي جعلت السماء لا تختار منهم نبيا أبداً لأن النبوة عطاء ورحمة .

وهذا لا يمنع وجود عناصر ايمانية كريمة في الأعراب ـ

ياساجدة .. الايمان سلوك .. فمن كمل ايمانه خشع لله ، قلبه والتزم منهجه في العبادة ، فالله لا يُعبد الا بما شرع .
فالعقيدة الصحيحة تولّد عبادة كاملة .

= عناها القران بقوله تعالى : ومن الاعراب مَن يؤمن بالله واليوم الآخـــر ويتّخذ ما ينفق قربات عنـد الله . وصلوات الرسـول ألا إنّها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم . ٩٩ التوبة
وما ارتد عن الايمان بعد النبي الا الذين قالوا بأفواههم ما ليس في قلوبهم، ولم يتمكن الايمان من قلوبهم . ورحم الله أبا بكر .. لقد أعاد للاســلام هيبته عندما أدّب الاعراب والمنافقين وأخضعهم لدولة القران . وذلك بحروب الردة ـ التي سير فيها أحد عشر جيشاً في وقت واحد .
وابو بكر بهذا العمل يعتبر اول قائد يفتح احد عشر جبهة قتالية في وقت واحد ومع ذلك يستطيع ان يحقق النصر .

والعبادات الكاملة تهذّب الاخلاق وتزكيها .

« خذ من أموالهم صدقة تُطهّرهم وتزكيهم بها »

١٠٣ التوبة

« انّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ٤٥ العنكبوت

« فلا رفث ولا فُسُوق ولا جدال في الحج » ١٩٧ البقرة

فالعبادات مدرسة عملية للأخلاق .

فمن كملت أخلاقه فقد كملت عباداته وصحّت عقيدته .

والحاصل على الدكتوراه لا بدّ أنّه حصل على ما قبلها من الدراسة وتفوّق فيها .

فالله ـ سبحانه ـ عندما امتدح أخلاق النبي ـ ﷺ ـ فقد أثنى على دينه وخلقه .



الفصل الرابع

* المستشرقون ومنهجهم في السيرة
* محمد المثل الكامل للانسان

« فيليب حتى »

* كل مصادرنا تجمع على طهارة خلق محمد

« وليم ميور »

* لقد امتزجت العدالة والرحمة في نفس محمد

« فغليري »

* * *

* كتاب تاريخ الشعوب الأسلامية وخطره على الشباب
* « نيوجين » أعماه الحقد على نبي الاسلام

الفصل الرابع

في غرفة المكتبة جلس الشيخ عارف على مكتبه ، جلس بين الكتب ليربط فكره بفكر الآخرين ويستمتع بجواهر المكتبة العربية والاسلامية. وفي عمق الدارس ، وذكاء المربى ، وبصيرة الداعي يمر الوقت خفيفاً خفة النسيم .

ما أجمل الكتاب .

جليس لا يمل ، ومرشد لا يمن بعطائه .

ودخلت ـ ساجدة ـ زوجة الشيخ ودار هذا الحوار .

* * * *

ساجدة : « تبتسم » وتقول للشيخ عارف : لقد بدأت أغار من الكتب كأنك متزوج بثلاث نساء غيري .

عارف : كل رجل عبقري خلفه امرأة عظيمة .

ساجدة : تعنى أنك عبقري ؟

عارف : لا ... بل أعنى أنك عظيمة ...

ساجدة : أنتني أحب الكتب لأنها بستان ، وثمار قراءتك ينتفع بها الجميع ، وأنت لا تستطيع أن تطعم أو تكسو كل أصحابك ولكنك تستطيع أن تهبهم السعادة بالكلمة

المؤمنة .

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مال

فليُسعد النطق ان لم يُسعِد الحال

«يدق الباب ويحضر وائل يحمل حقيبة من الكتب، ودار حوار طويل»

وائل : انشغلت في هذه الايام بالقراءة عن النبي - ﷺ -

عارف : أحسنت يا وائل ..

يجب على كل مسلم أن يدرس سيرة النبي الكريم وأصحابه، وذلك ليجعل من حاضره امتداداً لعظماء الامّة .

والأمة التي تنسى عظماءها، وتحاول عزل نفسها عن ماضيها مثلها كمثل رجل فقد ذاكرته فهو لايدري من أين جاء، ولا أين يذهب . أو هي كلقيط مقطوع النسب لا يعرف أصله . انّ الانسان يمتاز على الحيوان بدراسة التاريخ .

فالفأر يموت في المصيدة التي مات فيها أبوه ...

وتبقى نفس المصيدة لتستقبل الاجيال الجديدة .

أُدرس التاريخ فانّه مدرسة ..

ولعلك تخيّرت الاساتذة الذين قرأت لهم .

وائل : كلهم من كبار مفكري الغرب .

انني أحب منهج علماء الغرب في الكتابة لما لهم من سعة اطّلاع وحياديّة علمية .

عارف : كنت أودّ أن تعرف الحق من أهله أولا . . ثم تقرأ ما شئت ـ بعد ذلك ـ ولمن شئت . .

وائل : اطمئن يا شيخ عارف . . انهم منصفون .

لقد قرأت للدكتور « فيليب » قوله :

لقد تركت أعمال محمد اليوميّة وسلوكه في الامور الخطيرة والبسيطة ، أبْعَدَ الأثر في النفوس ، بحيث اصبحت قدوة يقتدى بها الملايين الى يومنا هذا .

ولم يحدث ان اعتُبِرَ شخص واحد ـ عند اي طائفة من طوائف الجنس البشري ـ المثل الكامل للانسان فقُلّدَت افعاله بمنتهى الدقّة كما حدث لمحمد »

« تاريخ العرب دكتور فيليب حتّى ص ١٦٦ »

وهذا غاية الانصاف من كاتب لا يؤمن بالاسلام .

● ● ●

وقرأت للعالم « وليم ميور »

تُجمع كلُّ مراجعنا ـ التي درسناها ـ على طهارة محمد وأنّه صورة نادرة بين أهل مكة بسبب ما وُهبَ من عقل راجح، وذوق دقيق، وعمق في التأمل.

« الفكر الخالد لمحمد علي ص.٢ »

عارف : جميل ياوائل ..

ولكن ما رأيك في كلام « وليم ميور » ـ الذي ذكرته ؟

وائل : انصاف عظيم لاخلاق النبي ـ ﷺ ـ لقد قال عن النبي : ـ

عقل راجح، وذوق دقيق، وعمق في التأمل ..

عارف : هـــل لاحظت ياوائل أنّه نسب عظمة النبي الى عبقريته ولم يشر الى النبوّة.

انه يُصوّر النبي على أنّه مجرد مُصلـــح اجتمـاعي أو فيلسوف.

والفارق بين النبوة والعبقرية كبير ..

والنبي ـ ﷺ ـ قد جمع بينهما.

« الله أعلم حيث يجعل رسالته » ١٢٤ الانعام

وائل : سبحان الله ...

لقد غاب عنّي هذا الامر ...

❁ ❁ ❁

لكنني قرأت للعالمة « فاغليرى » في كتاب دفاع عن الاسلام ص ٣٣ : قولها :

لقد كان محمد شديد التسامح ، وبخاصة مع أتباع الاديان الموحدة لله .

وهو ملتزم بمبدأ « لا اكراه في الدين »

لقد امتزجت العدالة والرحمة في نفسه .

هذا كلامهم ياشيخ عارف .

فماذا نريد من كتّـاب الغرب أعظم من هذا الوصف ؟

عارف : لا نريد منهم شيئا .

ولكن نريد منك ومن الشبـاب المسـلم أن يعرف منهج علماء الغرب .

لقد وضعوا خطة خبيثة في كتبهم عن الاسلام، وفي سيرة

النبى بالذات .

وائل : خطة خبيثة ؟

عارف : نعم .. كل شيء في الغرب مدروس، ويسير على خطة .

انهم يكتبون ألف كتاب عن النبى .

كل كتاب يحتوي على مائة صحيفة مثلا .

يحاول الكاتب أن يمدح النبى في تسع وتسعين صحيفة ،
ويضع نقطة السم في صحيفة واحدة .

فامتداحهم للنبى يُروّج الكتاب بين المسلمين .

ويشعرهم بأنهم أمام كاتب محايد يتحرّى الحق فقط .
ممّا يجعل العقل يتقبل نقطة السم ولايشعر بمذاقها .

ياوائل .. انّ نقطة السمّ لا يظهر طعمها في طبق العسل .

ولكنّ فعلها في المعدة لا ينكر .

فاذا طعن كل كاتب في جانب واحد من حياة النبى فانّ
مجموع كتبهم كفيلة ان تشوّه الاسلام ، وتفسد سيرة نبيه .

وائل : هكذا يفعلون يافضيلة الشيخ ؟

الشيخ : وأكثر من هذا يفعلون ... والمسلمون في غفلة .

ياوائل .. لقــــد ظهرت مجموعة من الكتب يدّعى فيها المستشرقون أنهم يبذلون جهوداً كبيرة ، وينفقون أموالا واسعة في سبيل التبشير بالنصرانية ـ في أفريقيا وآسيا ـ ولكنهم يواجهون مشكلة صعبة تعوق رسالتهم ـ هذه المشكلة في ادعائهم هى أنّ الاسلام ينتشر وحده ـ في هاتين القارتين ـ بدون أيّ جهود من المسلمين .

وهذه كلمة حق يُراد بها باطل .

وائل : أيُّ باطل في هذه الشهادة العظيمة ـ التي تبشّر بكل خــير ؟

عارف : ياوائل : الأمـــــر أخطر ممّا تتصوّر . بل ممّا يتصور كثير من المسلمين عندما يفرحون بهذا الكلام . ويُرددونه في مقالاتهم وعلى بعض المنابر .

انّ المبشّرين يهدفون ـ من وراء هذه الكلمات المعسولة الى تقاعد المسلمين وتخديرهممهم

فما دام الاسلام ينتشر وحده ـ كما يقول المبشرون ـ فما هو الداعى لهجرة الدعاة ،وانفاق الجهد والمال، في سبيل نشر

الاسلام في هذه البلاد ؟؟

لقد تقاعد المسلمون ،وتكاسل الدعاة ، وانصرفت كثير من الهيئات الاسلامية عن رسالتها .

انصرفت الى خلافات نظرية ، ومعارك فكرية يعلم الله أنّ الاسلام لا ناقة له فيها ولا جمل .

لقد نامت الأمّة الاسلامية في النور .

بينما استيقظ اعداؤها في الظلام وجدّوا السير .

انّ واقع المسلمين اليوم - كمصاب في حادث نُقل الى غرفة العمليات لاسعافه فظل من حوله يقلّمون أظافره ويمشّطون شعره - والمصاب يحتضر .

الغرب يخدعنا باوائل .

وسوف أثبت لك صحة فهمي لكتابات المستشرقين .

● ● ●

هات كتاب (حضارة الاسلام) واقرأ ص ١٢٤ اقرأ في سرك ..

فأنا لا أُحبّ أن أسمع .

واحكم أنت على ماتقرأ .

« يقرأ وائل وتبدو عليه علامات الاستغراب »

وائـل : عجبا ... أين الانصاف ـ الذي يدّعيه علماء الغرب ؟

وأين الحياد ؟

انّه يدّعى أنّ المسلمين نسبوا الى النبى بعض المعجزات المسيحية والبوذية ليُشبعوا رغبة العوام .

بل يدّعى أنّ النبى نفسه كان ينسب الى نفسه هذه المعجزات لـيُخرج نفسه من طبيعته البشريّة . كى يظهر في صورة الأنبياء .

عارف : عجبا ياوائل . . الأمور الخارقة للعادة ـ المعجزات ـ انْ نُسبت الى البوذيّة يعتبرها المؤلف حقائق ثابتة ـ مع أنّه لا يؤمن بالبوذية ـ وان نسبت الى نبيّ الاسلام ـ وثبتت نسبتها تاريخيا ـ يعتبرها « جوستاف » خـرافة وأساطير .

انّهم يكرهون الاسلام ياوائل .

ولوكلّف « جوستاف » نفسه أن يدرس شيئا عن موقف

النبى من الأمور الخارقة للعادة لـيَعلَم جهله الشديد بهذا النبي العظيم .

لعلك تذكر باوائل يوم وفاة ابراهيم بن النبى - ﷺ - لقد صادف خسوف الشمس .

وهذه ظاهرة طبيعية يمكن ان تحدث في أيّ وقت .

ولكن بعض الصحابة ربط بين هذه الظاهرة وبين موت ابراهيم ـ عليه السلام ـ

وقالوا : خسفت الشمس لموت ابراهيم .

قالوا هذه الكلمة عزاء للنبي .

ومقام العزاء يتّسع لمثل هذه المجاملات .

أو قالوها أعتقاداً بصحّتها .

وكان النبى ـ ساعتها ـ يُعاني من آلام فراق ولده .

وكان يمكن للنبى أن يستمع لهذه المقالة ويسكت ولا لوم عليه ، لانّه مشغول بدفن ولده .

ولكنّ النبيّ العظيم ـ أستاذ الحقيقة ـ لم يقبل أنْ يُعزّي بما يُخالف الحقيقة .

كان يمكن للنبي أن يسكت ليترك هذه المقالة تشيع بين العرب ،فيوقن أتباعه ، ويؤمن أعداؤه .

ولكنّ النبي جفّف دمعه ، ووقف في الناس معلماً يقول: الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى الصلاة .

انّ الحقيقة ياوائل ..

والحقيقة وحدها .. هى الاساس الذى بنى عليه النبي دعوته .

أين هذا من افتراء « جوستاف » ـ الذى يدّعى أن النبي كان ينسب الخوارق الى نفسه ؟!

● ● ●

وأمامك ياوائل كتاب « تاريخ الشعوب الاسلامية » تأليف « كارل برو كلمان »

اقرأ السخافات العقلية التى وضعها هذا الكاتب في كتابه .

انّ كل سطر منه يحتاج الى رُدُود طويلة .

انّه يدّعي أنّ النبي تدرّج في مسألة التوحيد ولم يعرف

التوحيد الخالص في السنوات الأولى من بعثته .

ولو كلّف هذا الكاتب نفسه ان يقرأ السور الثلاث الاول ـ التي انزلت على النبي في فجر الوحي لأدرك صورة التوحيد الخالص الذي لم يرقَ اليه دين الا الاسلام .

فمنذ الايام الاولى للوحي والقرآن يؤكد قضية التوحيد « اقرأ باسم ربّك » لا باسم صنم أو بشر . لأن ربّك هو الخالق ، لانّ ربك هو الاكرم ، ولانّ ربّك هو المعلم .

وتاتي سورة المدثر : وتؤكد ضرورة تكبير الله ، وطهارة النفس والقلب والثوب من كل دَنس .

أمّـــا سورة المزمل : فمنهج التوحيد فيها واضح « ربُّ المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا » ٩ المزمل .

فأيّ توحيد أكمل من هـذا التوحيد ـ الذي عرفه النبي منذ الشهور الاولى من الوحي ؟

وهل عرفت ديانة الكاتب ـ ان كان عنده دين ـ توحيداً أرقى من قوله تعالى : ربّ المشرق المغرب لا الله الا هو .

* * *

فاتّخذه وكيلا ؟

ويقول في ص ٧٨ . من نفس الكتاب :

يتحتّم على المسلم أن يُعلن غير المسلم بالعداوة حيث وجده لانّ محاربة غير المسلمين واجب ديني .

هل قرأت ياوائل هذا الافتراء ؟

هل الاسلام يفرض على المسلم ان يُعلن الحرب على جميع خصومه ؟

وائل : عجبا لهذا الكلام ..

ان « فاغليري » تقول : لقد كان محمد شديد التسامح ، وبخاصة مع اتباع الاديان الموحّدة لله .

عارف : ولو قرأ هذا الكاتب سورة الممتحنة لرأى تسامح الاسلام مع الذين يخالفونه في العقيدة ـ بشرط أن لا يُحاربوا الاسلام . قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يُقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تَبَرُّوهم وتقسطوا اليهم انّ الله يُحبُّ المقسطين انّما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على

اخراجكم ان تولّوهم، ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون»
٩ الممتحنة .

وهناك فارق كبير بين الدعوة الى الاسلام وبين اكراه الناس على الدخول فيه .

كما أن الفارق كبير بين الفتوحات الاسلامية ـ وهى التحام جيشين ـ وبين انتشار الاسلام وهو مسألة فكر واقتناع وحرّية .

وحسبك أنْ تعلم أن بعض البلاد تمّ فتحها عسكريا وبقى الناس فيها على دينهم . كبلاد الاندلس ـ وقد كفل لهم الاسلام حرية عالية .

كما أن كثيرا من بلاد العالم انتشر فيها الاسلام بدون أن تُفتح عسكريا .

* * *

وائل : لقد انخدعت بدعوة المستشرقين، وغرّتنى ادعاؤهم الحياد والموضوعية .

وأملنا أن يُوفق الله علماء المسلمين في نشر مثل هذا الحوار

ليفضحوا خطـة الغرب وخصوم الاسلام »
ان أقلامهم أخطر من سلاحهم .
ويجب ان تـحصنوا الشباب من الافاعى .
عارف : الحمل ثقيل ياوائل .
وجهاز الاعلام الاسلامى فقير ..
ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ... ولي نعجة واحدة ... فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب » ٢٣ ص
ياوائل جهاز الاعلام الاسلامي فقير .
لم يبق للاسلام الا المنبر ـ فسامح الله الذين يأخذون الاسلام ولايقدمون له .

❁ ❁ ❁

لو قرأت أوصاف المسيح في القرآن لعلمت ان القرآن ألقى على المسيح هالة الجمال والكمال .
قال تعالى على لسان المسيح :
« قال انى عبد الله ...
آتاني الكتاب وجعلني نبيا .

وجعلني مُباركا أينما كنت ...
وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا
وبرّاً بوالدتي ..
ولم يجعلني جبّاراً شقيّا ..
والسلام عليّ يوم ولدت ..
ويوم أموت ...
ويوم أبعث حيا »

٣٣ مريم ، أما في سورة آل عمران آية ٤٥ - ٤٦ فقد جاء قوله تعالى :

« اسمه المسيح عيسى ابن مريم ..
وجيها في الدنيا والآخرة ..
ومن المقربين ..
ويُكلّم الناس في المهد وكهلا ..
ومن الصالحين .

وقد دافع القرآن عن مريم ، وأثبت عفتها وطهارة منبتها وعظم أصلها .

فأصلها ثابت « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين . ذُرّية بعضُها من بعض والله سميع عليم » ٣٤ ال عمران

وهي محفوظة من الشيطان مُنذ ولادتها لدعاء أُمّها .

« وانّي سمّيتها مريم واني أعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم . فتقبّلها ربّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً . وكفّلها زكريا » ٣٧ ال عمران

فهي طيّبة الاصل ، والبذرة ، والبيئة . والراعي .

ثم صادفها اصطفاء الله لها على نساء العالمين ..

« واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك ...وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين » ٤٢ ال عمران

وائل : هل نفهم من هذه الآية أن مريم ـ عليها السلام ـ أفضل عند الله من نساء النبى ؟

عارف : ياولدى .. لا مجال المقارنة بين أيّ امرأة وبين أمّهات المؤمنين ـ نساء النبى ﷺ

لانّ الله قال عن نساء النبي : يانساء النبيّ لستنّ كأحد من النساء » ٣٢ الاحزاب

فالقرآن دافع عن عيسى وعن أمّه .

فليت علماء الغرب يتأدّبون بأدب المسيح .

ولكن كيف نكلّفهم بأدب المسيح وهم لم يتذوّقوا حلاوة دينه ـ الذي نزل من عند الله ـ

انّ حركة التبشير العالمية تمهّد لغزوٍ فكريّ يُبارك الاستعمار الغربي ويخدم مصالحه .

وما ابعد الوسيلة والغاية عن رسالة السماء .

القرآن يمتدح عيسى بما هو أهله ، ويدافع عن أمّه ، والكاتب « نوجين » ـ الذي يلبس ثوب الرُهبان ويحمل قلم الافاعي ، يقول عن اشرف الخلق محمد ـ ﷺ ـ :

ان محمداً حرّم لحم الخنزير لانّه كان سكران ونام فوق كوم عال فأتى الخنزير وعضّه. فقام محمد وحرّم لحم الخنزير على أمتّه .

وأسأل هذا الكذّاب الحاقد :

لماذا حرّمت التوراة لحم الخنزير ؟
هل هناك خنزيرعضّ موسى ـ ياسيادة الفيلسوف ـ فحرّم موسى لحم الخنزير على أمّته .
وائل : التوراة تحرّم لحم الخنزير ؟
عارف : اجل ياوائل .
جاء في سفر التثنية ما يؤكّد تحريم لحم الخنزير .
وائل : يعني لحم الخنزير حرام في شريعة موسى وفي شريعة محمد ـ ﷺ ـ .
عارف : وفي المسيحية ايضا . أعنى المسيحية التى جاء بها عيسى لانّ السيد المسيح اعترف بشريعة موسى وأقرّها :
وقال : ما جئت لانقض الناموس .
ولكن (بولس) ـ الذي دخل المسيحية بعد عيسى عليه السلام استطاع ان يطمس الشريعة ويُبطلها .
لقد زعم (بولس) انّ بقاء الشريعة يعنى بقاء الخطيئة . فلابد ان يتخلص الناس من الشريعة ، لكى يتطهّروا من الخطيئة .

جاء هذا في رومية ٣ ـ ٢٠ قال بولس .

مادامت الشريعة قائمة فالخطيئة تُرتكب ، ولكنَّ المسيح ابطل الشريعة ، فبطل ارتكاب الخطيئة .

وائل : المسيح قال : ما جئت لا بطل الشريعة بل لاكملها !

عارف : وبولس قال : ان المسيح ابطل الشريعة ليُخلّصنا من الخطيئة ..

معنى كلام بولس أن الشرطة والقضاء هما سبب الجرائم . فلابد من ابعاد الشرطة وهدم دور القضاء حتى يسلم المجتمع من الجرائم .

وائل : هذا منطق معكوس ..

عارف : لذلك قال بولس بعد ان نجح في صرف الناس عن الشريعة : الآن تحرّرنا من الشريعة . روميّة ٧ ـ ٦ فلحم الخنزير .. حرام في الديانة اليهودية بالنص ، وحرام في ديانة عيسى لاقراره بشريعة التوراة ، وحرام في الاسلام لانّ الاســـلام يُحلّ الطيّبات ويُحرّم الخبائث فكيف يجرؤ كاتب مثل « نوجين » على مثل هذا المقال ؟

وأين الموضوعيّة والحيادية وأمـانة البحث التي يدّعيها علماء الغرب ؟

ومن أيّ مصدر تاريخيّ نقل الكاتب القذر مثل هـذا الهـراء ؟

انـّني على ثقة أنّ مثله لو كتب عن نجوم السينما ،وشعراء الخمر ، لكتب قلمه بلا مداد .

أما عندما يكتب مخمور عن سيد الخلق ، وحاقد عن نبي الرحمة ، وماجن عن استاذ الشرف ، فلا نتوقع الاّ هـذا الهـراء .

أن الاناء القذر يُفسد اللبن الصافي .

وائل : هل يمكن ان نعرف شيئا عن سرّ تحريم لحم الخنزير ؟

عارف : الاصل في اجتنابنا لحـم الخنزير أن الله حرّمه علينا بنص القرآن . « انما حرّم عليكم الميتـة والدم ولحم الخنزير » سواء عرفنا سرّ التحريم أو لم نعرفه .

وصحابة النبـي ﷺ ـ تلقوا أوامر القرآن بالطاعة ،

ونواهيه بالاجتناب احتراما لقداسة القرآن .

ويُخطىء بعض الشباب عندما يعتقد أنّ الحكم يرتبط بالعلّة العقلية فقط، ويهمل النص الكريم .

فالزنا حرام ...

سواء حدث منه حمل واختلاط أنساب أو لم يحدث .

إنّ بعض الشباب اعتقد حرمة الزنا لأنّه يسبب اختلاط الأنساب، فلما اكتشف الطب «وسائل منع الحمل» تصوّر أنّ تحريم الزنا أصبح بلا جدوى .

ان الأصل في التحريم هو النص،

وقداسة النص باقية الى يوم القيامة .

أمّا معرفة العلة فهي عامل يحضّ على إطاعة الأمر فقط .

بعد ذلك يمكن ان اقول :

- الخنزير لايتخلص إلا من ٢٠./٠ من حامض البوليك ويحتفظ بالباقي في لحمه . مما يسبب آلام المفاصل عند آكله .
- وهو يسبب الدودة الطويلة .

وهذه الدودة تختلف عن الدودة التي يُسبّبها لحم البقر .

لأنّ جرثومة لحم البقر تقتلها نيران الطهي .
أمّا جرثومة لحم الخنزير فلا تُقتل .
ـ وهو حيوان يأكل القاذورات . واذا وجد بها حيواناً ميتاً أكله ، والاسلام يُحرّم أكل الحيوان الذي يأكل اللحم .
الا السمك ـ فانّ الله أحله لنا بنصّ قرآني كريم «أحِلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسّيارة » ٩٦ المائدة .
وائل : لكنّني أعلم ان العلم الحديث استطاع ان يقتل جرثومة الدودة الطويلة في لحم الخنزير .
عارف : يقتلها من كل الخنازير أم من بعضها ؟
وائل : من الانواع التي تُربى بوسائل علمية ، وتُطهى بوسائل علمية .
عارف : وبقية الخنازير ماذا قدّم العلم لها ؟

يضيف بعض علماء طباع الحيوان سبباً آخر لتحريم الخنزير وهو أن كل من أكل لحم حيوان مُعين يتأثر بطباعه .
والخنزير لا يغار على أنثاه ، فان صحّ قولهم فلعلّ هذا هو سبب برود الرجل في أوربا وعدم غيرته .

وائل : تبقى كما هي ...

عارف : ما كان الله ليذر عباده ضحية للامراض ـ التي يسببها هذا الحيوان ـ حتى يأتي العلم ليعالجها .

والأصل في التحريم هو النهي الالهي ـ كما قلت لك ـ . وليس الاصل هو إدراك العلة .

إن بعض الذين تحدثوا في فضل الصيام وحكمته قالوا :

إن الله شرع الصيام ليشعر الغني بآلام جوع الفقير .

وهذا كلام مقبول ولطيف .

ولكن عندما قاله أحد الخطباء في « أفغانستان » وعزم الشباب على الصيام ...

جاء أحد الملاحدة ـ هناك ـ وقال للشباب :

الصوم يهذب الاغنياء ليشعروا بالفقراء .

فلماذا نصوم نحن الفقراء ؟

فأصبح الشباب مُفطرا، إعتقادا منهم أن الحكم يدور مع

العلـّة ، ولا يدور مع النص الثابت (١) .
وائل : هل هناك أحكام تغيب الحكمة منها على المسلمين ؟
عارف : هل كل المسلمين يُدركون علـّة الأحكام وحكمتها؟
وائل : لا ...
عارف : قلت لك : ان صحابة النبى يوم أن اجتنبوا لحم الخنزير لم يسألوا النبى عن الحكمة من التحريم .
ولكن قالوا : سمعنا وأطعنا ، لانهم أيقنوا أنّ النهى جاءهم من الله ، والله أعلم بسر الكون .
ان منهج تربية الجنود يستلزم احترام الاوامر وان غابت الحكمة عن الجنود .
فمثلا اذا أردنا أن ندخل معركة لتحرير القدس ،فعلينا ان نُقنع الجنود بهدفها العام ، ونؤكد شرف المعركة .
أمّا عندما تدور المعركة ، ويُصدر القائد أمره الى بعض

---

(١) روى لى هذه الحادثة أحد العلماء الاجلاء وقد وفقه الله وشرح أسرار الصيام ،وفرضيته بما أعاد الشباب الى الصيام مقتنعين .

الجنود أن يتقدم ، أو يتجه الى مكان مُعين فيجب عليهم احترام الاوامر وعدم مناقشة السبب ، حفظا على الوقت وسرّية الخطة العسكرية .

وهذا مانسميه في العرف الاسلامى « أمور تعبدية »

وائل : هل تتعارض الامور التعبدية مع احترام الاسلام للعقل ؟

عارف : لاياوئل .

لان الاسلام يُقنع العقل بالامور الاعتقادية ــ كوجود الله ونزول القرآن من عند الله ، ونبوّة محمد ــ ﷺ ــ فاذا ثبتت هذه القضايا في النفس فالطاعة بعد ذلك واجبة وأضرب لك مثالا واحداً اذا خرج رجل ــ تثق في صدقه ــ من بيت وقال لك : لا تدخل البيت لان فيه وحشاً هائجا ، فان صدقته نجوت . وان خالفته دفعت الثمن غاليا ...

وائل : الحمد لله الذى هدانا للحق .. وأنار لنا الطريق . ان ديننا غني عن أباطيل خصومه ..

لقد فضحت منهجهم ، وأثبت حقدهم .

بارك الله فيك أستاذاً ، وأبا لتلاميذك .

عارف : لا أمنعك من القـــراءة للمستشرقين . . .
ولكن اقرأ قراءة الحاكم عليهم ، لاقراءة المخدوع بهم
فان الحق أبلج .
والله معك . .

* * * *

الفصل الخامس

١ ـ مصدر القرآن في زعم المستشرقين

٢ ـ قصـــة الراهب بحيرى

ان صدقتها فهى دليل على نبوة محمد .

وان كذبتها فهى دليل على نبوة محمد .

٣ ـ هنـــا الحقيقة ...

« جولد بيارت »

ذو القعدة عام ١٣٩٥ هجرية .
وكان الشيخ يستعد للسفر لبيت الله الحرام ، ووفود المهنئين تملأ البيت
واذا بطارق يدق الباب . انه المهندس البلجيكي « جولد بيارت »
دله على الشيخ أحد الشباب المسلم في لبنان ـ عندما قال له :
لقد حضرت الى البلاد الاسلامية لأبحث عن الحقيقة .
ودار حوار طويل نذكر بعضه ـ بقدرما تسمح هذه الصفحات .
وقد نشر بعضه في كتاب :« المال في القرآن » عام ١٩٧٦ .

● ● ●

جولد : لقد سافرت الى تركيا ولبنان بحثا عن الحقيقة .
وفي فنادق لبنان التقيت بالشاب العراقى الاستاذ ـ
وليد المشهدانى ـ فدلنى عليك .
جئت في اليوم الثاني مباشرة لانني متعطش للحقيقة .
وامل ان أجدها في بغداد عاصمة الحضارات الاسلامية .

الشيخ : عن أى شيء تبحث يا مستر جولد ؟
جولد : هل لدى الشيخ مايقنع العقل المعاصر بنبوة محمد ؟
الشيخ : القرآن هو الدليل الدائم على نبوة محمد ـ ﷺ ـ
جولد : الذى لايؤمن بنبوة محمد لايؤمن بالقرآن .

الشيخ : لا أعنى أنني سأقرأ عليك قول الله تعـالى :

« محمد رسول الله » ٢٩ الفتح

ولا قوله تعالى : والله يعلم انك لرسوله »

سورة المنافقون

فنحن لا نُناقش بالقرآن الامن يؤمن بأنه منزل من عند الله .

ولكن أعنى أنـّنى سأحاول أن أثبت لك أنّ هذا القرآن مُنزّل من عند الله . عن طريق المناقشة العقلية .

وبعدها من السهل أن تدرك أن محمدا رسول الله .

جولد : هذا صحيح . إذا تيسرت لك أدلة عقلية .

فقد قرأت كلاما متناقضا لكتّاب الغرب.

قرأت للـكاتب « ارفنج ، ودرمنغام ، ورينيه ، وكارل بروكلمان » وغيرهم .

قرأت لهم : ان محمدا التقى ببعض الرهبان والأحبـــار وتعلـّم منهم القرآن (١) .

---

(١) يقول كارل في تاريخ الشعوب الاسلامية : فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والانجيل =

بل قرأت أن المسلمين تمموا القرآن ـ بعد موت محمد .

« الشيخ يضحك» ويقول :

المسلمون تمّموا القرآن بعدموت محمد ؟

هذا كلام عجيب ..

لقد قال صاحب كتاب حضارة الاسلام :

إن القرآن لم يزد شيئا ولم ينقص شيئا منذ وفاة محمد .

بل اكثر منهذا أنّه قال : حتى ترتيب السور والآيات لم يحدث فيها أىُّ تغيير .

جولد : قرأت هذا فعلا .

أنا حائر لتناقض علماء الغرب في أمر محمد .

الشيخ : أضرب لك مثالا واحدا لأمانة الأمة في الحفاظ

= هزيلة الى حد بعيد ص٣٤ ونسأل « كارل » اذا كان القرآن وليد معرفة هزيلة بالكتاب المقدس فلماذاعجز أصحاب المعارف الواسعة ان يأتوا بمثلهعندما تحدّاهم القرآن ؟ وسوف نقارن بين القرآن وبين كتابكم المقدس الذى تدّعُونه مصدرا للقرآن .

على القرآن .

كوّن أبو بكر ـ خليفة النبى الأوّل ـ لجنة لجمع القرآن في نسخة واحدة تحفظها الدولة .

وعُين عمر بن الخطاب وزيرا للدولة في شؤون جمع القرآن .

وحدث أن اختلفت اللجنة مع عمر في حرف واحد من سورة التوبة .

قرأ عمر « والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بأحسان . قرأ « الذين اتبعوهم بدون واو ـ على أنها بدل أو عطف بيان.

وقرأت اللجنة « والذين اتبعوهم باحسان »على أنها عطف نسق ، وقراءة اللجنة ينبني عليها دخول كل مُتبع للسابقين في رحمة الله ورضوانه .

فطلب عمر بن الخطاب من اللجنة ان تنتظر القراء الذين هاجروا الى سوريا والعراق ومصر والذين سيجمعهم موسم الحج ليسألوهم عن هذا الحرف .

وجاء موسم الحج . وحضر القراء ـ الذين حفظوا القرآن على يد النبى ـ ﷺ وأكدوا وجود الواو .

فكتبها عمر ، وتنازل عن قراءته ...

جولد : الى هذا الحدّ بلغت أمانة النقل ؟

الشيخ : لقد قال زيد بن ثابت ـ رئيس لجنة جمع القرآن ـ لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ

والله لو كلفتنى نقل جبل لكان أهون عليّ من كتابةالقرآن . وذلك لشعوره بالامانة الثقيلة في نقــله ـ فكيف يدّعي كاتب غربي ـ في عصر سَهُل فيه تبادل المصادر والكتب مثل هذا الرأى ؟

يامستر جولد .. ان المؤسف حقا أن كتّاب الغـرب الى اليوم يرددون الاتهامات التى وجهها رجل البادية الى الاسلام ـ في عصر الجاهلية ـ بل والأكثر من هذا أنهـم يفسّرون الظاهرة القرآنية بنفسالتفسيرات الجاهلية .

ان اقلامهم امتداد للجاهلية الأولى ، باسم العلم وأمانة الدراسة ـ انهم كالقطط الشريدة التي تبحث في القمامة عن فضلات الطعام .

وسوف أناقش معك هذه الأوهام بشيء من الإيجاز لانني

استعد للسفر غدا ان شاء الله ـ

* * *

المستشرق « نيوفانيز » قال :

محمد تعلّم القرآن من رهبان لقيهم في رحلاته الى مصـــر والى الشام .

وهذا كلام يؤكد جهل الـكاتب بحياة محمد .

لأنّ محمدا لم يسافر الى مصر طيلة حياته .

لا قبل النبوة ... ولابعدها .

المستشرق « دور منغام » قال :

التقى محمد ببعض الرهبان في قرية « مدين » وكان محمد في قافلة تجارية فتعلم منهم ا . هـ

ولو كلف هـــذا الـكاتب نفسه ان يدرس (خريطة بلاد العرب) لعلم أن القوافل من مكة الى الشام لا تمر على قرية مدين.

لأنّ مدين في سيناء . والقوافل لا تمرّ بسيناء.

ألست معي يامستر جولد أن من يجهل هـــذه الأوليّات التاريخيــة والجغرافيــة أولى به أن يستحي، ولا يكتب عن محمد ؟

جولد : هل تعني أن محمدا لم يلتق في حياته بأحد من الرهبـــان ؟

الشيخ : لا أعني أنه لم يلتق بأحد من الرهبان .

لقد التقى براهبين يعرفهما التاريخ جيدا

ولم يكن وحده هو الجالس اليهما .

الراهب الأول : اشتهر باسم بحيرى .

وكان عمر النبي يومها لم يتجاوز الثانية عشرة ، عندما رغب ان يسافر مع عمه أبي طالب الى الشام .

وأثناء لقاء الصبي محمد بالراهب العجوز كانت القافلة كلها تجلس معه .

وأمعن الراهب في محمد ـ ﷺ ـ وسأل :

الراهب : ابن مَن هذا ؟

ابو طالب : ابني .

الراهب : لا ... إنـه يتيم .

أبو طالب : ابن أخي ..

الراهب : صدقت ... ماينبغي ان يكون له أب ـ على

قيد الحياة ـ ثم نصح الراهب أبا طالب فقال :

يا أبا طالب .. ارجع بابن أخيك .

فانّي أخاف عليه يهود الشام أن يقتلوه .

يامستر جولد .

مَنْ يؤمن بصدق هذه القصة ـ من كتّاب الغرب ـ ويُروّج لها ـ عليه أن يسأل نفسه :

كيف عرف الراهب أنّ محمدا يتيم ؟

ولماذا خاف عليه من يهود الشام ؟

كيف تعلّم النبي من الراهب ـ في ساعة من نهار ـ أصول دعوة ومنهج أمّة ؟

لماذا سكت محمد ـ ﷺ ـ ثمانية وعشرين عاماً بعد لقاء الراهب ؟

لماذا لم يقل أصحاب القافلة لمحمد : كنّا معك عندما سمعت هذا المقال من الراهب ؟

يامستر جولد ..

ان قصة الراهب دليل على نبوة محمد

وليست تفسيرا لظاهرة الوحي ـ كما يدّعي علماء الغرب .

جولد : ربّماتكون القصة موضوعة ولا أصل لها .

الشيخ : مَن يدّع ذلك يلتزم بالنتيجة ـ المترتبة على الانكار .

وهي أن محمدا لم يتعلّمْ من الراهب شيئا .

فانكار القصة يثبت نبوة محمد .

وإثبات القصة يثبت نبوة محمد . ويثبت أنّه مذكور في الكتب السماوية السابقة ـ التي درسها الراهب .

جولد : حوار منطقيّ فعلا ، لايملكه علماء الغرب ـ الذين يعرضون آراءهم على أنها مُسلّمَات لاتناقش .

ومَن الراهب الثاني ـ الذي لقيه محمد ـ ؟

الشيخ : راهب في مكة . .

أسمه « ورقة بن نوفل »

وقد زاره النبي بعد نزول الوحي عليه لأوّل مرّة .

ولم يكن النبي يعرف أن الذي نزل عليه وحي من عندالله .

فلما سمع ـ ورقة بن نوفل ـ كلام الوحي بشّر النبي أنه سيكون نبيّ هذه الأمة .

وكانت خديجة مع النبي ـ عند الراهب ـ ومات الراهب بعد فترة قصيرة .

يامستر جولد

بعد ان عرفت حقيقة أمر الراهبين إسمح لي أن أناقش الأمر ـ معك ـ مناقشة موضوعية

هل تتصوّر أنّ النبي تعلم القرآن من اليهود . ثم جاء لهم به ، وأعلن كفرهم بنص القرآن ، ولم يقل أحد منهم للنبي : هذه بضاعتنا ردّت الينا ؟

ثم أناقش معك جانباً واحداً من القرآن ـ لضيق وقتي لأنني سأسافر غداً ان شاء الله ـ الى بيت الله الحرام .

اناقش معك موضوع القصة في القرآن والتوراة .

ذكرت التوراة قصة نوح ، وابراهيم ، ولوط ، وموسى ، وهارون ، وداود ، وسليمان .

وكل هؤلاء الأنبياء جاء ذكرهم في القرآن .

ولكن الدراسة المقارنة ستظهر لك الفارق الكبير :

* * *

نوح :

نسبت إليه التـــوراة أنه شرب الخمر ونام فانكشفت عورته . سفر التكوين اصحاح ٩ ـ ١٨

بينما ذكره القرآن بقوله تعالى : ذرّية مَن حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً . الاسراء ـ ٣

لوط :

وصفته التوراة بأنه شرب الخمر حتى غاب عن وعيه ثم زنا ببنتيه !! سفر التكوين ـ ١٩

بينما وصفه القرآن بقوله تعالى : فآمن له لوط وقال إني مُهاجر الى ربّي إنّــه هو العزيز الحكيم .

موسى :

وصفته التوراة بأنه اله هارون فقالت : هو يكون لك فماً، وأنت تكون له الهاً . سفر الخروج ٤ ـ ١٠

بينما وصف القرآن هارون بأنه وزير لموسى :

واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخي » ٣٠ طه

يا مستر جولد .

هل تتصوّر أن القرآن بمنهجه المنصف للأنبياء، وللحق، قد استمدّه محمد من اتهامات التوراة للأنبياء، وتشـــويه سيرتهم ؟

ان الظلم، وتزوير الحقيقة، لا يُنجبان إنصافا، ولا عدلا..

ونواصل مقارناتنا بين افتراء التوراة وحقائق القرآن .

● ● ●

هارون :

نواصل دراساتنا للتوراة ، فنراها تذكر قصة هارون . .

واسمع يا مستر جولد ما تقوله التوراة :

اسمع قصة هارون في الكتاب المقدس ـ الذي لا يستحي علماء الغرب من جعله مصدرا للقرآن :

تقول التوراة

ولمّا طال زمن غيبة موسى ، أظهـــر هارون الضعفَ والانكسارَ ، وعصى الله ، وصـــنع لهم عجلا ذهبيّا لاسكاتهم . خروج ٣٢ : ٤

وتقول أيضاً :

والظاهر أن هارون راعى الجانبين فبنى للإله الجديد مذبحاً ، وأعلن عيدا للإله . خروج ٣٢ ــ ٥

فالتوراة تدّعي أن هارون هو الذي عصى الله وصنع العجل لبني اسرائيل ــ مع أنه نبي ــ

ثم تعتذر عن هذا الخبر ــ الكاذب ــ فتدّعي أن هارون صنع العجل لاسكاتهم فقط ، لا لأنه كان يعتبره الهاً من دون الله ــ

هذا منطق التوراة ... !!

أما القرآن فيذكر قضية العجل الذهبي ، وينسب الجرم الى فاعله الحقيقي ، وهو السامِريّ .

قال تعالى :

«وما أ عجَلك عن قومك ياموسى .. ؟

قال هم أُولاء على أثري وعجلت اليك ربّ لترضى .

قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلّهم السامري » طه ٨٥

وفي آية خرى ، قال القر ن الكريم :

قال فما خطبك يا سامري .. ؟

قال بصُرت بما لم يبصروا به .:

فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي »   ٨٦ طه

فصانع العجل ـ كما يخبر القرآن ـ هو الشقى السامري .

أما هارون ـ عليه السلام ـ فوقف فيهم محذرا من عبادة غير الله :

قال تعالى :

« ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به ... وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري »   .. طه

فهل تصلح التوراة أن تكون أصلاً للقران ومصـــدرا له . ؟ !

جولد يهز رأسه وعلى وجهه ملامح الحيرة »

* * * *

ونترك هارون يحذر الناس من عبادة العجل .. لنلتقي بسليمان ـ عليه السلام ـ

نلتقي معه مرة في التوراة ، ومرّة في القرآن ـ لنعرف الفارق بين الكتابين . وهل تصلح التوراة لتكون مصدرا للقرآن ؟!

يا مستر جولد . نتناول بعض الفاكهة ثم نواصل الحديث

جولد : الحقيقة أغلى من الفاكهة ..

عارف : الفاكهة تعين على طلب الحقيقة ...

ضحك الجميع ويتناولون الفاكهة

جولد : نعود الى حديثنا .

عارف : صورت التوراة سليمان ـ عليه السلام ـ بأنه « في سلطانه مُثيرا للغاية ، فأخذ في السرف والترف والتعيّش الممنوع أكيدا » « سفر التثنية » ١٧-١٦

ولقد هدّده الله ووبخه في رؤياه الثانية .

فرغم ان يتعظ، استكبر وتساهل في أمر ربّه ، ونسى ربّه « الملوك ١-١ »

وأكثر من كل هذا قول التوراة عن سليمان :

أخذ يُعاشر ... ويعاشق النساء الغريبات اللاتي منع

الله من عشرتهن .

فنكح منهن سبعمائة بالعقد الدائم ، وثلاثمائة بالعقد المنقطع ـ

فاجتذبن وأملن قلبه عن ربه . ملوك ١١ : ١

هذا سليمان عندهم ـ أعني في توراتهم ـ

* * *

أما القرآن فقد تحدّث عن علم سليمان، ودقّة فهمه في الحكم بين الناس منذ فترة شبابه المبكر [١]

ونذكر نموذجا واحدا لذلك .

تقدم رجلان لداود عليه السلام أحدهما صاحب حقل زراعي ، والثاني صاحب غنم .

واشتكى صاحب الحقل : أن غنم خيه دخلت حقله

---

(١) الحادثة المذكورة حكم فيها سليمان في عهد والده داود ـ عليهما السلام ـ والتوراة ذكرت أن داود قد مات وعمر سليمان عشرين عاماً « سفر الملوك » فمعني هذا أن سليمان حكم في القضية قبل سنّ العشرين .

في الليل واتلفت زرعه .

فحكم داود: ان يأخذ صاحب الحقل الغنم ـ تعويضاً عن زرعه .

لكن صاحب الغنم اشتكى لسليمان ضياع غنمه .

فدخل سليمان على أبيه وقال له :

يا نبي الله .. ادفع الغنم لصاحب الحقل ينتفع بهـــا ،

وادفع الحقل لصاحب الغنم يُعيد زراعته .

ثم يردّ كل منهما ما في يده لصاحبه .

قال داود : حكمت فعدلت ...

وقد سجل القران هذه الحادثة دليلا على نضج سليمان في شبابه .

قال تعالى :

وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ...

ففهمناها سليمان ... وكلا اتينا حكماً وعلماً » ٧٨ الانبياء

وقد امتدح القران سليمان فقال :

« ووهبنا لداود ســـليمان ... نعم العبـــد ... انه أواب » ٣٠ ص

فاحكم يا مستر جرلد ...

سليمان ــ في التوراة ــ مشغول بألف أمرأة أملن قلبه عن ربه ».

وسليمان ــ في القران ــ «نعْمَ العبد ... إنّه أواب »

فهل يتصور عاقل ــ يا مستر جولد ــ أن محمدا تعــلم القران من الكتاب المقدس ؟!

● ● ●

ان اليهود يدعون أنهم شعب الله المختار . . . والاسلام دين يسوي بين كل الناس ، ويجعل اكرمهم عند الله أتقاهم .

وعندما أخبر القران أن هذه الأمة خير أمة أُخرجت للناس . لم يجعل عوامل التفضيل سموّ شعب على شعب ، ولا دماً على دم .

انما جعل دائرة التشريف هي جهاد الأمّة من أجل الخير وإبعادالناس عن المنكر . قال تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ١١٠ آل عمران

وقد اخبر القرآن أن جماعات من غير العــــرب سوف تدخل الاسلام ويصبح لها كل ما للعــــرب من شرف .
قال تعالى :
« وآخرين منهـــم لمّا يلحقـــوا بهم وهـــو العزيز الحكيم » ٣ الجمعة

وشرف هذه الأمّة مرتبط بخدمة دينها والدفاع عنه .
فأذا تنصّلت الامة عن حمل أمانة الدين ، نزع الله منها هذا الشرف .
« وان تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ... ثم لا يكونوا أمثالكم » ٣٨ محمد

يا مستر جولد ..
هل يمكن ان تكون هذه المساواة العامة قد استقاها محمد من قوم لم يبق لهم من دينهم سوى الغرور والتعالي على الناس ؟!
هذا من جهة العقيدة ...
أما من جهة الشريعة اليهودية ، والشريعة الاسلامية

فالخلاف جليّ وواضح .

اليهود يحرّمون الربا .

والاسلام يحرّم الربا .

ولكن اليهود يحرّمون الربا بين اليهودي، واليهودي فقط .

أما غير اليهودي فيجوز اقراضه بالربا .

جاء في سفر التثنية :

للاجنبي تُقرض بربا .

ولكن لأخيك لا تُقرض بالرّبا ، لكي يُبارك الرب إلهك في كل الذي تمتد اليه يدك ـ هذه شريعة التوارة ـ

أمّا الاسلام فيحرّم الربا على المسلم، سواء كان المقترض مسلما أو غير مسلم .

● ● ●

الديانة اليهودية تُحرّم لحم الميّت .

والاسلام يُحرّم لحم الميّت .

ولكن التوراة ـ التي يدّعي المستشرقون أن النبي أخذ

القرآن من تعاليمها ـ تقول ـ في سفر التثنية :
لا تأكل جثة ما . ـ يعني ي جثة ـ
تعطيها للغريب على بابك يأكلها أو يبيعها لأجنبي ، لأنك شعب مقدس للرب إلهك . .

يامستر جولد ،

هل تتصور أن الدين الذي يسوّي بين كل الناس في أحكامه ، ويعطى لغير المسلمين من الحقوق كل ما للمسلمين ، ويجعل عليهم من الواجبات بمقدار ما على المسلمين .

هل تتصور أن هذا الدين يمكن أن يكون امتداداً لدعوة اليهود العنصرية ، أو لتثليث النصارى ؟!

ان التثليث لاينجب التوحيد الخالص .

وظلم سيرة الانبياء وتشويه قدرهم ـ في التوراة ـ لا يمكن ان يكون مصدراً للإنصاف التأريخي ـ الذي ـ جاء به القرآن .

والديانة المغلقة على قوم بعينهم لا يتصوّر عاقل أنها أم الدعوات العالمية المفتوحة .

جولد : إننى أشعر بما يشعر به راكب السفينة .
عارف : تشعر بدوار في رأسك ؟
جولد : لا . .

بل أشعر بأنني في طريقي لادراك الحقيقة . ببطء ، كما يشعر راكب السفينة بأنه في طريقه الى شاطىء السلام .

لقد بحثت كثيرا عن الحقيقة ...

وسافرت من أجلها الى بلاد عدة ...

لقد اصبحت على يقين من ان محمدا لم يأخذ القران من التوارة والانجيل . لانّ من تتلمذ على فنّ تأثر به ـ مهما حاول أن يتناساه .

● ● ●

ولكنني قرأت لبعض المستشرقين أن محمدا كان يطيل التأمل في الكون . حتي هداه تأمله لهذا الدين .

عارف : وددت لو أنّك تجيد اللغة العربية لتقرأ كتاب « النبأ العظيم » للدكتور محمد عبد الله دراز .

كما وددت لو تُرجم هذا الكتاب ونشر بكل لغات العالم .

انّه يناقش قضية نزول القرآن من عند الله مناقشة عقلية وافية .

- أحد الأسرة : تذكر سفرك غدا بعد الفجر .
- سوف نسافر عقب صلاة العصر - ان شاء الله -
- اذن نواصل الاستماع .
- لو صنعت لنا بعض الشاي أكرمتنا .

* * *

عارف : يامستر جولد .

اذا أضفنا للدراسة السابقة - والتي تُوضّح أنّ منهج القران - في العقيدة والشريعة والسيرة - يختلف تماما عن منهج الكتاب المقدس . لو أضفنا حقيقة أخرى وهي ان محمدا قضى أربعين سنة من عمره أمّيا لم ينشغل بدرس ولا مدرس ، وذهنه خال من أي فكر اصلاحي ، أو

تغيير اجتماعي . لقد عاش يرعى الغنم ، ويتاجر في مال السيدة خديجة ، ولم يُسمع منه يوما ان تحدّث عن توحيد الله ، او عن نعيم الجنة ، او عن أيّ دعوة للخير .

أربعون عاما ليس بالعمر القليل ..

وقد سجل القرآن هذه الفترة ، وأكد فراغ ذهن النبي من كل شيء ـ الا ما يشغل الرجل العاديّ من شؤون الحياة . (١)

---

(١) « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين »
٣ يوسف .

وقال تعالى : تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا »
٤٩ هود ـ ولو كان له ، أو لقومه علم بها لأعلنوا تكذيبه .

وقال تعالى : وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا =

فالقرآن يؤكد خلو ذهن النبي في مرحلة ما قبل «إقرأ باسم ربك» ـ من كل شيء ـ

هذا القرآن قرأه النبي على قومه ـ الذين يعرفون عن حياته كل شيء ، ولو لم يوافق وصف القرآن للنبي حقيقة حياته لقال المشركون له :

تدّعى أنك أمي لم تدرس ، ولم تتعلم ؟

والحقيقة : انك درست عند فلان ، وتعلمت من فلان .

لانهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه .

= ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان »

« آخر الشورى »

وقال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ... إذن لارتاب المبطلون »

« ٤٨ العنكبوت »

اي لو كنت تقرأ لارتاب المكذبون وقالوا : انه درس . ولكن عدم قراءتك دليل على تلقى وحي الله.

ولكنّ سكوتهم عن ذلك دليل على صدق دعواه ...

يامستر جولد ..

القصة – في القرآن – تعتبر اخبارا عن غيب الماضي .

واخبار النبي عن غيب الماضي بدقة كدقة القرآن – مع أنه أمي – يؤكد أن القرآن ليس نتيجة التأمّل الفكري . لأن التأمّل لا يكشف عن المغيبات (١)

جولد : أشعر أنّ الحوار يحترم عقلي .

---

(١) استعمل القرآن كلمة فرعون لحاكم مصر في عهد موسى ، « وقال فرعون » واستعمل كلمة الملك لحاكم مصر – نفسها – في عهد يوسف « قال الملك » وبقي سرّ التسمية مجهولا حتى اكتشف العلماء حجر رشيد – الذي كان مفتاحا لدراسة اللغة المصرية القديمة . وبعدها علم رجال التاريخ ان المصريين القدماء كانوا يطلقون على الحاكم من أبناء مصر «فرعون» واذا كان الحاكم مُحتلا للبلاد يسمّونه « ملكا » =

ويُقوّي احتمال نزول القرآن من عنـــد الله . ولكن
لا زلت بحاجة الى حديث طويل .
فقـد قلت لك : انني كراكب سفينة يقترب من الحقيقة
بهدوء .
عارف : أنت تطلب الحق ، ونحن في خدمة الحق .

* * *

لقد كشف القرآن عن غيب الحاضر ـ كما كشف عن غيب
الماضي .
ويتجلى هذا الأمر في فضح القرآن لنفاق المنافقين، و كشف
طويتهم ـ مع اجادتهم لتمثيل دورهم » .
والأعجب من غيب الماضي ، وغيب الحاضر هو اخبـار

= ويوسف عليه السـلام عاش في أيام الهكسوس الذين
غزو مصر من اواسط أسيا، وطردهم «أحمس». فهل
أدكرت سرّ القرآن في التسمية ؟ ! !
وهل مثل هذا السر يدرك بالتأمل ؟

القرآن عن غيب المستقبل فجاء الزمان فصدق ما أخبر به القرآن .

والشواهد كثيرة لمن قرأ القرآن .

كان النبي في مكة بعيداً عن أحداث معركة الفرس والروم .

وتطايرت الأخبار بهزيمة الروم ـ أمام جيش الفرس .

وحزن المسلمون للنتيجة ـ لأن الروم أصحاب دين ، أمّا الفرس فمجوس يعبدون النار .

وفرح المشركون بالنتيجة ، لأنّ الفرس أقرب لهم من النصارى..

ولكنّ القرآن نزل يُخبر المسلمين أنّ النصر للروم ـ في الجولة الثانية ـ من المعركة .

والأعجب من هذا أنّ القرآن حدّد المدّة ـ التي سينتصر فيها الروم .

حددها ببضع سنين .

والبضع من ثلاثة الى تسعة . ثم أكد القرآن أن نصر الروم سيوافق نصراً آخر عند المسلمين .

نزلت الآيات في مكة ...

ومرّت السنوات تباعاً .

وهاجر النبي الى المدينة .

ودارت معركة بدر الكبرى . وانتصر المسلمون فيها . وفي أثناء احتفال المسلمين بنصرهم ، وصلتهم أخبار تؤكد انتصار الروم على الفرس .

والتقى النصران . وصدق الله وعده ، وصدّق نبيّه قال الله سبحانه في القرآن المكى :

« غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ...

لله الأمر من قبل ومن بعد ..

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » ٥ الروم

« ويومئذ » ... أي يوم انتصار الروم ، سيفرح المؤمنون

بنصر الله . وقد وافق نصر الروم على الفرس ، انتصار المسلمين في بدر ...

هل هذه المغيّبات يُمكن أن يُدركها العقل بالتأمل ، وطول النظر في الكون

جولد : لا ..

الامر أعمق من كل هذا وأجلّ .

ولكن . . ربما كان محمد يعلم غيب ؟

عارف : اذا تصورته يعلم الغيب فقد تصورته نبياً . يامستر جولد .

لم ينسب محمد الى نفسه أنه يعلم الغيب .

وقد أعلن القرآن هذا .

« قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يُفعل بي ولا بكم . ان أتّبع الاّ ما يُوحى الىّ وما أنا الا نذير مبين »

٩ الاحقاف

وقال تعالى :

قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا

أقول لكم أنـّى مَلَك »   ٤٩ الانعام

وعندما غنّت جارية ـ في عرس ـ وقالت :

وفينا نبيّ يعلم ما في غد

قال لها النبيّ : لا تقولي هكذا . . . وقولى ما كنت تقولين.

فمحمد ـ في ذاته ـ وفق قانون بشريـّته ـ لا يعلم الغيب ، والقرآن أخبر بكثير من المغيـّبات، وصدّقتها الليالى والايام. والغيب عنيـــد ... من دخله بدون وحي فضحـــه .. وكذّبه ...

فمن أين جاء محمد بهذا القرآن ؟ ؟

جولد : هذا المجلس حوّل فكرى .

ما كنت أعتقد أن منهج الاسلام بهذا الوضوح .

عارف : الاسلام قضية عادلة .

غير أنه وقع في أيدي محامين فاشلين .

جولد : لايـُوجـــد في الغرب من يُوضّح هذه الحقائق للشباب، مماجعل لصوص العقائد يُقدمون الباطل ويخفون الحق . وهم آمنون من فضيحة باطلهم .

عارف : هذا قـَدرنا - يا مستر جولد ـ
المعركة ضارية ، والسلاح قليل .
على أيّ حال نعود الى موضوعنا .
لقد علمت يامستر جولد أنّ دعوة تعلـّم محمد من الرهبان
تـُعتبر تزويرا للتاريخ .
ودعوة أنّ القرآن نسخة مُحرّفة للكتاب المقدس لا يقبلها
عاقل . (١)
لانّ القرآن مصحح لما احدثه الزمن في هذا الكتاب .
ودعوة الاستبطان الذاتي ، يردها وجود المغيّبات الصادقة
في القرآن . فالمغيّبـات لا تـُدرك بالاستبطان الذاتى ولا

---

(١) قال لى أحد المجادلين عندما أحرجته هذه الحقائق
الثابتة : ربما تعلم محمد من التوارة والانجيل الأصليـّين.
فضحكت وقلت له :
كلامك هذا معناه ان كتابك ـ الذي تؤمن به ليس
أصليا ، بل محرّفا .
فاعتذر بأنها عبارة غير مقصودة .

بالتأمل .

فمن أي مصدر جاء النبى بهذا القرآن ؟؟

يامستر جولد :

ما رأيك في العلم الحديث .

جولد : خدم الانسانية ، ويحاول أن يسخر كل شيء لخدمة الانسان . والعلم استخدم منهج التجربة والمشاهدة لادراك الحقائق الكونية .

عارف : هل يمكن للتأمل الفكري أن يكتشف حقائق علم الفلك والتشريح ، والفضاء ؟

جولد : لا ...

عارف : سوف أقرأ عليك بعض آيات القرآن ، لنعرف هل يمكن للنبي أن يتوصل اليها عن طريق التأمل ، أو دراسة الكتاب المقدس ؟

تكلم القرآن عن شكل الأرض فقال : والارض بَعْد ذلك دحاها » ٣٠ النازعات

والدحية هي البيضة ..

فهل هناك علاقة بين البيضة وشكل الارض (١) ؟

جولد : أدق تشبيه للارض هو هذا التشبيه .

الأرض فعلا بيضاويّة الشكل .

والآية تحتمل فهما آخر ـ من ناحية اللغة ـ

العرب يقولون : دحى المطر الحصى ـ اذا باعد مكانه .

فيحتمل أن يكون معنى الآية ـ أن الله دحى الارض أى فرّق القارات بعد ان كانت مُتماسكة ... وخريطة القارّات توكد أنّه لو وضعت كل قارة بجوار الأخرى لكمّل بعضها بعضاً .

جولد : هذه أحدث النظريات في موضوع القارات .

عارف : هل يمكن ان يكون قول القرآن هذا من وحي التأمّل ؟

---

(١) سبق ان تكلمت عن هذه الآية في رسالة ـ هذه عقيدتك ياولدي ـ بشيء من الاسهاب . وبينت العلاقة بين بيضاوية الارض وتوزيع الماء والمرعى عليها .

جولد : احتمال بعيد .

عارف : وأبعد منه ان تسمع هذه الآية ـ التي أخبرت أن السموات والارض كانتا ملتصقتين ثم فتقها الله. ثم لاتوقن بأنّ هذا القرآن مُنزّل من عند الله .

لقد أثبت صعود الانسان الى القمر ، واحضار قطع منه وتحليلها .

كما أثبتت دراسة الانسان للشهب والنيازك ـ التي تصلنا من للكواكب ـ أنّ المادة التي خلقت منها هذه الكواكب كلها مادة واحدة .

وهذا يؤكد ما أشار القرآن الكريم اليه في قوله تعالى : أو لم ير الذين كفروا أنّ السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما . ٣٠ الانبياء

جولد : هـــذه حقائق علمية لم يعرفها علماء الا في القرن الماضي .

عارف : فمن علمها للنبي ـ ﷺ ـ ؟ !

لقد تكلم القرآن عن أسرار الفضاء ـ التي لم يعرفها الانسان

الا في القرن العشرين عندما تقدمت صناعة الطيران والصواريخ ــ فأنت تعرف ــ يامستر جولد ــ أن الانسان كلما صعد الى أعلى ــ بالطائرة أو بالصاروخ ــ كلما شعر بتغيّر في الضغط، وضيق في التنفس .

وقد اخترعت وسائل علمية لحفظ الطيارين، ورجال الفضاء .

ما رأيك يامستر جولد.. في أن القرآن شبّه ضيق الصدر الذي يصيب الحائر، بضيق الصدر ــ الذي يصيب من يصعد في السماء .

الضال يضيق صدره بكفره .

والذي يصعد في السماء يضيق صدره باختلاف طبقات الجوّ ونقص الاوكسجين . قال تعالى : ومن يرد ان يُضلّه يجعل صدره ضيّقا حرجا كأنّما **يصّعّد** في السماء »

١٢٥ الانعام

وكلمة « يصّعّد » تفيد الصعود من درجة الى درجة أعلى منها بمشقة، وضيق صدر .

قال القرآن هذا ـ وأعلى مكان يكن للرجـل يومها أن يصعد اليه هو جبال مكة، وكشف العلم سرّ الآية عنـدما ركب الانسان الصاروخ ..

فهل كان محمد خريج كلية الطيران ؟

جولد : اننا نعرف وعظ الرهبان وكلامهم ...

ان محمداً يتحدث من وراء الغيب ...

القرآن شيء آخر ...

شيء آخر فعلا ...

وهذا الحوار يحترم عقلى ..

ويبدوا ان الرياح تدفع السفينة أسرع وأسرع الى الحقيقة

« يضـع جولد بيارد رأسـه بين يديه ويغمض عينيه ويقول :

حتى الفضاء ـ يتحدث عنه القرآن .. !!

وراء القرآن سر عظيم .

ان العالم يفتخر الآن بدراسة الفضاء ...

● ● ●

عارف : يامستر جولد

تحدّث القرآن عن الكون حديث الخالق عن خلقه،
وتحدّث عن جسم الانسان ـ حديث العالم بأسراره .
وأذكر لك مثالا :

العلماء اكتشفوا أنّ حساسية الانسان تتركز تحت جلده.
والقرآن أشار الى هذا السرّ قبل العلم بألف عام : لقد جعل القرآن منطقة الجلد هي منطقة احساس أهل النار بالعذاب .

قال تعالى : انّ الذين كفرو بآياتنا سوف نُصليهم ناراً كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب . انّ الله كان عزيزاً حكيماً » ٥٦ النساء

فكلما احترق الجلد بدّلهم الله جلداً آخر ، لان الجلد هو مركز الاحساس . وذلك ليذوقوا العذاب .

ويوميا يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلوهم بما كانوا يعملون من سوء في الدنيا .
ولكنّهم يعاتبون جلودهم فقط :

قال تعالى : وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا « ؟ »

قالوا أنطقنا الله ـ الذي أنطق كل شيء ـ وهو خلقكم أوّل مرّة واليه ترجعون » ٢١ فصّلت

حتى عندما يُخبر القرآن بعمـوم العذاب لباطن الجسـد وظاهره، يؤكد القرآن على الجلد .

قال تعالى : « فالذين كفروا قطعّت لهم ثياب من نار يصبُ من فوق رؤوسهم الحميم . يصهر به ما في بطونهم والجلود » ٢٠ الحج

فهل يتصوّر عاقل أنّ مثل هذا الكشف العظيم لسرّ من أسرار الجسد علمه محمد عن طريق الاستبطان النفسي ، أو معاشرة البيئة ، أو من الكتاب المقدّس ؟ !!

● ● ●

وهـل القرآن اذا أخبرنا بمراحل تكوين الجنين في بطن الامّ، وسبق خلق العظام للّحم، وتكوين جدار الرحم من طبقات ثلاث ، ثم يأتي علم التشريح ويدرك الطبقات الثلاث « المبارية والامنيونية والخربونية »

وهي أنسجة لا ينفذ منها الضوء ولا الصوت .

قال تعالى :

« يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقاً من بعـــد خلق في ظلمات ثلاث » ٦ الزمر

هل يمكن أن يكون محمد قد درس التشريح، وتخصّص فيه ؟ .

والفضاء وأتقن علومه ؟ .

والكون وأحاط بأصله وسرّه ؟ .

يامستر جولد :

ان القرآن ان تحدّث عن الماضي صـــدّقه التاريخ . وان تحدث عن المستقبل صدّقته الليالى والايام . وان تحدث عن الكون صدقه العلم الحديث .

فهل هذه العلوم من نوع معارف الرهبان ؟

أم حرّفها محمد من الكتاب المقدس، وأخذها من أصحاب معارف هزيلة بالكتاب المقدس كما يقول : « كارل بروكلمان ؟ »

بعث من نفس محمد نتيجة التأمل ؟

لقــــد عرضت عليك القضية بتفاصيلها ، وتركت لك الحكم .

جولد : التفسير الوحيد ـ الذي يفرضه العقل أن هذا القرآن من عند الله ...

أجل ... من عند الله ...

بكل هدوء أقول : **هنا الحقيقة ...**

محمد رسول الله ...

محمد رسول الله ...

انى آمنت بربكم ... فاسمعون ...

ردد الجالسون الشهادتين . ورددها جولد بيارد ـ والدموع من الفرح تسيل ، وسيطرت على الجميع اشراقة نورانية وهنأ بعضهم بعضا .

وحان وقت صلاة الفجر ، ووقف مسلم جديد بين صفوف اهل الحي انه «جولد بيارت المهندس البلجيكي»

« ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرســـول فاكتبنا مع الشاهدين »

الباب الثانى

الفصل الاول

* الحقائق التاريخية أولا .
* هل حاكمتم الفلاسفة ؟
* عبيد قادوا الاحرار .
* الذين استرقّوا الاحرار ، هم الذين يتّهمون الاسلام باسترقاق العبيد ! !

زار الشيخ أحد الأصــدقاء ، بعد غيبة عز فيها اللقاء ، فقوبل بالترحاب والثناء ، والبشر والهناء .
وبعد جمال الترحاب ، ومسامرات الأحباب .
سأل بعض الحاضرين ، عن قضايا الدين .
فهلل الشيخ للسؤال ، وأفاض المقال .

عمار : يشغلني موضوع هام يثيره الشباب دائماً وأحبّ أن أعرف رأي الاسلام فيه .
لماذا شرع الاسلام الرّق ، وهو دين المساواة والحريّة .

عارف : يخطىء كثير من الشباب فهم الدور الذي قام به الاسلام في قضية العبيد .
مشكلة العبيد مشكلة صعبة .
بدأت مع فجر الحضارات القديمة ، وأقرّتهـا كل النظم القديمة . والدعوات السماويّة ـ التي سبقت الاســلام .
حتى الفلسفات المثالية أقرّت هــذا النظام على علّته .
ولم تفكر في منح العبيد أيّ حقوق على سادتهم ، ـ ولا حتى في مجال الخيال المثاليّ ـ الذي لا يُكلّفهم شيئا .
فأرسطو قال : لا يزال في العالم أناس خلقوا للسيادة ،

وآخرون خُلقوا للطاعة ، فهم كالآلات الحيّة التي تُساق للعمل ، ولا تدري فيما تساق اليه .
هذا رأي ارسطو .

* * *

وفي « جمهورية أفلاطون »
يُقسّم الناس الى أقسام ثلاثة

القسم الأول : الحكّام
ويدّعى أن الآلهة وضعت في طينتهم ذهبا ليُمكّنهم من السيطرة والحكم .

القسم الثاني : المساعدون للحكام .
ويدّعى ان في طينتهم فضة .

القسم الثالث : طبقة العبيد .
ويدّعى ان في طينتهم حديداً ليكونوا زراعاً وعمالا .

* * *

الرومان :

وفي الرومان صاحبة القوانين الرومانية ـ التي لم تزل تُدرّس حتى الآن ـ

حرموا العبيد من الميراث ، والأسرة ، وحق التقاضى أمام القضاء .

واعتبروا العبد شيئاً . لا شخصاً .

فلما دخلت الديانة المسيحية الرومان تأثر القانون الروماني بسماحة الديانة الجديدة فحرّم ـ لأول مرة في التاريخ ـ على السيد أن يقتل عبده .

* * *

اليهودية :

أما الديانة اليهودية .. فقد أباحت لليهود اذا حاربوا بلداً وانتصروا عليها .. ان يأسروا كل نسائها وأطفالها . اما الرجال فيجوز قتلهم ، ويجوز أسرهم ليصبحوا عبيداً الى الأبد .

« اقرأ سفر التثنية ـ الاصحاح العشرين »

النصرانية :

وجاءت النصرانية . واكتفت بأن تطلب من العبيد ان يطيعوا سادتهم . وقد جاء في رسالة بولس ما يؤكد هذا . ظلت المشكلة كما هي منذ فجر الحضارة حتى جاء الاسلام . وعندئذ بدأت المشكلة تتهيأ للحل .

* * *

الاسلام :

إن اول عبد نال حريته - في الاسلام - هو بلال بن رباح الحبشي - الذي اشتراه ابو بكر واعتقه ليُخلّصه من التعذيب .

فبلال اوّل عبد حرره الاسلام .

وابو بكر ... اول من حرر العبيد .

● ● ●

عماد : هذا عرض تاريخي جيد ، ولكنه موجز .

نريد أن نعرف المزيد .

عارف : الكتاب هو الصديق الذي لا يمَن ، ولا يُملّ

فأقرا : كتب الفقه الاسلامي فان فيها ابوابا لحقوق العبيد .

واقرأ « حقائق الاسلام » لعباس محمود العقاد ، واقرا « لارق في الاسلام » للاستاذ ابراهيم الفلالي « وشبهات حول الاسلام » للاستاذ محمد قطب ، والاسلام والعبيد . للاستاذ ابراهيم النعمة .

عماد : ولكن وجودك فرصة .

عارف : الاسلام لايعرف الشعارات،ولكن يضع الحلول . أنا أعرف جيداً ان الشرق والغرب وتلاميذهما في بلادنا يرددون على مسامع شبابنا هذه القضية دائما .

معتقدين انهم سيغمزون الاسلام وينالون منه .

وقبل ان اجيبك عن موقف الاسلام من هـذه القضية اسألك .

ما رأيك في سفينة تحطمت في وسط البحر ، وكاد يغرق كل من فيها ، وأعرضت كل السفن المجاورة لها عن انقاذها، ولكن قبطاناً ماهراً حاول بكل قوته الفكرية

والجسمانية أن ينقذ من يستطيع من الغرق .
هل ترى من العدل ان تُحمّله مسئولية الذين ماتوا ، ولم يستطيع انقاذهم ؟

عماد : لا ... ربّما لو عاونته السفن الأخرى لنجاة الجميع .
على أيّ حال يجب ان يقدّر ويُشكر .

عارف ؛ لقد جاء الاسلام فوجد مشكلة العبيد عالمية الحجم ، قديمة التاريخ ، معقّدة الجوانب .
فوضع منهجاً متكاملا لحلّها .

لقد شرع الاسلام العتق .. ولم يشرع الرق .

« العقاد »

فوضع منهجا متكاملا للعتق وتحرير العبيد .

وينقسم منهج الاسلام الى ثلاثة أقسام .

أولا : تأمين الأحرار على حرّيتهم .

ثانيا : تصفية المشكلة ومنح الحرّية للعبيد .

ثالثا : تأمين حيـــاة الـذين لم يحصلوا على الحرية ، واكرامهم .

* * *

فأوّل شيء فعله الاسـلام هو تأمين حرّية الأحرار .

ولم يكن هذا أمر سهل .

لقد كان الصبي الحرّ يُسرق من أهله ويُباع فيصبح عبداً .

وربّما عجز المدين عن سـداد دينه فيصبح عبداً للمرابى ـ صاحب الدين .

وغارات السلب والنهب ـ التي كانت تقوم بها القبائل لسرقة المال وسبي العيال من المستضعفين لا حرج فيها .

جاء الاســلام فحرّم كل هـذا . ليؤمّن الأحرار عـــلى حريتهم .

قال صلى الله عليه وسلم :

ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامـــة ، ومَن كنت خصمهُ خصمتُه ـ أي انتصرت عليه أمام الله ـ

رجل أعطى بي ثم غدر . (١)

ورجل باع حراً وأكل ثمنه .

ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره . (٢)

وعندما أمّن الاسلام الاحرار على حريّتهم فقد حاصر المشكلة ، ومنعَ امتداد الحريق .

❁ ❁ ❁

تبقى أمام الاسلام مشكلة العبيد ـ الذين ولدوا هكذا أو صاروا عبيداً بعد ولادتهم .

أولا : فتح الاسلام أمامهم باب الحرية العادلة .

عماد : ماذا تعني بكلمة الحرية العادلة ؟

عارف : أعنى أن الاسلام راعى جانبين .

---

(١) أعطى بي ـ أي عاهد ثم غدر .

(٢) الحديث رواه البخارى .

الجانب الأول : هو رغبة العبد في الحصول على الحرية .
والجانب الثاني : هو أنّه حافظ للسيد على أمواله التى بذلها في شراء العبد أو تربيته .
الاسلام دين عادل ... لذلك شرع عقد بيع الحرية للعبيد ـ أى عقد المكاتبة ـ وهو يعنى أن العبد إذا رغب في الحصول على الحرية يتّفق مع سيده على مبلغ من المال يدفعه العبد فيصبح حراً .
قال تعالى : والذين يبتغون الكتاب مّما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً .وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » ٣٣ النور

عماد : من أين يدفع العبد هذا المال ، مع أن كسبه ـ دائما ـ لسيده ؟

عارف : قد راعى الاسلام هذا الامر جيّداً .
فبمجرد توقيع العقد يُصبح كسبه لنفسه لا لسيّده .
بل طلب الاسلام من الجماعة المسلمة أن تُعينَه على ثمن الحرية . وهذا معنى قوله تعالى :

« وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » ٣٣ النور

عماد : ربّما يمتنع سيده عن المكاتبة .

عارف : الأمر القرآني يُرغّب المسلم في القبول .
والمسلم بطبعه ليس أنانياً .
ومع ذلك لو امتنع السيد عن التوقيع على عقد المكاتبة ، يمكن للعبد أن يرفع الامر الى القاضي ، فيُرْغمه القاضي على القبول .

عماد : واذا تم توقيع العقد ، وتعسّر العبد في السداد ، ولم يجد من يُعينه ؟

عارف : افتى الامام على ـ كرّم الله وجهه ـ بأنّ العبد ان عجز عن تدبير المبلغ ، يدفع القيمة التى دبّرها لسيده. وبمجرد ان يدفع القسط الأول يصبـــح حراً ، ويلزمه بقية المبلغ (كدين مدنىّ) عليه تسديده عند الميسرة ، ولا يرجع للعبوديّة بسبب عجزه عن السداد .

عماد : نِعمَ الفتوى ، ورضى الله عن امير المؤمنين علىّ ـ كرّم الله وجهه ـ

يافضيلة الشيخ :
أنت قلت الآن : ان الاسلام فتح باب الحرية للعبد الراغب فيها .
هل يمكن ان تتصوّر عبداً لا يرغب في الحرية ؟
عارف : الحرية تعنى المسؤولية .
وبعض العبيد تربّوا على العمل الجسمانى فقط .
ولم يُعدّ لتحمّل المسؤولية .
وبعضهم تبلّد عنده الشعور بالعبودية ، فأصبح لا يألم بها .

مَن يهُنْ يسهُل الهوان عليه
ما لجرح بميّت إيلام

وأمثال هؤلاء لم يفكروا في دفع ثمن الحرّيّة ، لرضاهم العيش في ظلّ سادتهم .
ومع ذلك لم يحرمهم الإسلام من الأمل في إهداء الحرية لهم ، بلا ثمن .
عماد : يحصلون على الحرية بدون أن يطلبوها ؟ !
عارف : نعم .

شرع الاسلام باب العتق للقربة الى الله ـ سبحانه ـ وقد أخبر النبي ـ ﷺ ـ أن من أعتق عبداً حسبة لوجه الله، أعتق الله رقبته من النار. « أيما رجل أعتق امرأ مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه ـ أي من سيده ـ من النار .

«رواه البخارى »

ولقد كان أبو بكر الصديق هو أول من اعتق عبداً في الاسلام . عندما اشترى بلالا وأعتقه .

. كان عمر بن الخطاب يذكر دائما هذا السبق لأبي بكر فيقول :

رحم الله أبا بكر ...

كان سيدنا ...

وأعتق سيدنا ...

« أسد الغابة حـ ١ ص ٢٠٩ »

وقد دعا القرآن لفكّ رقاب العبيـــــد ، كما دعا لحسن معاملتهم .

فشرع الاعتاق على وجه القربة لله . قال تعالى :

« فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة »
سورة البلد

كما شرع الله العتق في كفارات ثلاث ، بالنص القرآني .
القتل الخطأ ، الظهار ، وكفارة اليمين .

أولا : من قتل مسلماً خطأ . فليعوّض المجتمع المسلم بتحرير رقبة من العبودية . قال تعالى :

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً الاّ خطأ ...
ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ...
ودية مسلّمة الى أهله الا أن يصدّقوا » ٩٢ النساء

ثانيا : اذا حرّم الرجل امرأته عليه وقال لها :
أنت مُحرمة عليّ كظهر أمّي . ثم عزم على الرجوع فيما قال .

فلا تحلّ له زوجته حتى يكفّر عن ظهاره .
قال تعالى :

والذين يُظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسّا . ذلكم توعظون به والله بما

تعملون خبير » (١)   ٣ المجادلة

ثالثا : شرع الاسلام كفارة اليمين ـ الذى أقسمه المسلم على شيء في المستقبل يعزم ان يفعله ثم لم يستطع، أو يعزم على عدم فعله ثم فعله .

فعليه كفارة هذا اليمين .

قال تعالى :

لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . (٢)

---

(١) روي أن خولة بنت ثعلبة ظاهرها زوجها فلما اشتكت للنبى قال لها النبي : لا اراك الا قد حرمت عليه . فلما اشتكت امرها لله انزل الله حلا لمشكلتها وشرع الكفارة . .

ومضمون هذا الحادث يؤكد ان القرآن من عند الله . لأن القرآن افتى بغير ما أصر عليه النبي من تحريم خولة على زوجها ـ اوس بن الصامت .

(٢) كأن يقول نعم والله. اولا والله، وهو لا يقصد اليمين. وكأن يقسم على شيء في الماضي يعتقد انه صادق =

ولكن يُؤاخذكم بما عقّدتم الأيمان . (١)
فكفّارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تُطعِمُونَ
أهليكم . أو كسوتهم . أو تحرير رقبة . فمَن لم يجد
فصيام ثلاثة أيام » ٨٩ المائدة
فكلما جاءت فرصة للخير وجّهها الاسلام الى تحرير
العبيد .
واذا كانت هذه الحلول يتبنّاها المجتمع المسلم ، فانّ ذلك
لا يصرف همّة الدولة عن المساهمة في هذا الأمر الخطير .
فقد جعل القرآن سهما من الزكاة لفكّ الرقاب .
قال تعالى :
إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة
قلوبهم وفي الرقاب . ٦٠ التوبة
فالدولة والأفراد وحتى العبيد أنفسهم يتعاونون على منح

= فيما يقول ثم يتبين خطأه .
(١) بأن يقسم على شيء في المستقبل أن يفعله . او لا يفعله .
ثم لا يلتزم بيمينه .

الحرية للعبيد ـ كتعاونهم على ضروريات الحياة .

عماد : واذا لم يقدر العبد على شراء حريّته ، ولم يسعده الحظ فيحظى بمن يهبها له ...
هل يعيش عبداً معذّباً ؟

عارف : يبدوا أنك لم تدرس صورة المجتمع ـ في ظلّ الاسلام .
الناس في ظل الاسلام سواسية كأسنان المشط . لا فضل لاحد على أحد الا بالتقوى .
التقوى التي جعلت من بلال مؤذنا للرسول وخازنا له ..
التقوى التي جعلت سلمان الفارسيّ من آل بيت النبي ﷺ ورضي الله عنهم .
وجعلت أسامة بن زيد أحبّ الناس الى رسول الله ﷺ .
واسمع هذه الحادثة :
فرض عمر بن الخطاب لأسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ خمسة آلاف درهم ـ كل عام . بينما فرض لعبد الله بن عمر بن الخطاب الفى درهم فقط .

فقال عبد الله لأبيه :

فضّلت أسامة عليّ ، وقد شهدت من المعارك ما لم يشهد .

قال عمر ـ رضى الله عنه ـ :

انّ أسامة كان أحبّ الى رســول الله منك ، وأبوه كان أحبّ الى النبي من أبيك .

« أسد الغابة حـ ١ ص ٦٥ »

فالتقوى .. والتقوى فقـــط .. هي دائرة التفاضل في المجتمع الاسلاميّ .

وقد عمل الاسلام جادا على ازالة التجاعيد التي تركها الزمن في وجه العبيد . وأعاد لهم الكرامة السليبة .

أولا : فِتيان لا عبيد

استبدل القرآن كلمة (عبد) وكلمة (أمة) بكلمتى (فتى وفتاة) .

وذلك ليربىّ الامة على خُلق جديد .

قال تعالى :

اذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين »

٦٠ الكهف

وفي قصة يوسف

« وقال **لفتيانه** اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها » ٦٢ يوسف

وأنت تعرف ياعماد . ان كلمة فتى تطلق على الحرّ وعلى العبد . سواء بسواء .

قال تعالى عن ابراهيم ـ وهو حرّ ، وابن حرّ .

« قالوا سمعنا **فتى** يذكرهم يقال له ابراهيم »

٦٠ الانبياء

كما استبدل كلمة « أمة » للانثى . بكلمة فتاة .

قال تعالى :

« ومَن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ماملكت أيمانكم من **فتياتكم** المؤمنات » .

٢٥ النساء

لذلك نرى النبي ـ ﷺ ـ يؤدّب الناس بأدب القرآن فيقول :

لا يقل أحدكم يا عبدي ويا أمتي ...

بل يقل : يافتاي ويافتاتي .

عماد : لكن جاء في القرآن الكريم « والصالحين من عبادكم وامائكم » ٣٢ النور

عارف : هذا صحيح .. اكرمك الله .

هذه هى الآية الوحيدة ـ في كل القرآن ـ التي استعملت كلمة عبادكم .

لكنها جمعت (عبد) على (عباد) .

وأنت تعرف ان الجمع على (عباد) يخالف الجمع على (عبيد) .

يُقال في مقام المدح « عباد » .

قال تعالى : وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْناً » ٦٣ الفرقان

وفي مقام الغضب يجمع القرآن كلمة (عبد) على (عبيد) .

قال تعالى : « وما ربك بظلام للعبيد » ٤٩ فصلت

فالله ـ سبحانه ـ قال : « والصالحين من عبادكم »ولم يقل والصالحين من عبيدكم .

هذا من ناحية لفظ الآية الكريمة .

أما موضوع الآية .. فهو الزام المجتمع المسلم ان يتعاون في تزويج العبيد والاماء ـ حتى يسد حاجتهم النفسيّة ويحفظهم من الانحراف .

هؤلاء هم العبيد في ظل الاسلام .

أوجب الاسلام على السادة :

اطعامهم مما يأكلون . وكسوتهم مما يلبسون . ثم تزويجهم .

يا عماد :

العبيد ـ في ظل الاسلام ـ جزء من الاسرة الانسانية الكبيرة .

يتزوّج الأحرار من العبيد .

قال تعالى : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ـ والله أعلم بإيمانكم ـ بعضكم من بعض . فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهنّ أجورهن بالمعروف »

٢٥ النساء

ويستفاد من الآية الكريمة .

١ ـ رفع الحرج ـ الذي كان يُصيب العربيّ ـ اذا تزوّج من أمة .

٢ ـ أنّ الاحرار والاماء أسرة واحـــدة ـ بعضهم من بعض ـ لانهم جميعا من آدم . وآدم من تراب .

وبعضكم من بعض في الايمان أيضا .

وما وراء الايمان أمور لا ينبغي الالتفات اليها .

« انّ اكرمكم عند الله اتقاكم »

راجع تفسير آيات الأحكام حـ ٣ ص٧٩

وقد أكد النبي هذا الاخاء في قلوب الناس .

« اخوانكم خولكم ... فمن كان أخوه تحت يده ... فليطعمه مما يأكل .. وليلبسه مما يلبس.. ولا تكلفوهم مالا يطيقون .. وان كلفتموهم فأعينوهم » صحح مسلم

ويفهم أيضا من الآية الســابقة أن الفتاة جزء من الاسرة ـ التي تعيش فيها ـ مع سادتها ـ وسادتُها هم أهلـُها .

« فانكحوهن باذن أهلهن » أي بأذن ســادتها . ولكن

ظلال التعبير القرآني له أثر عظيم ـ فلم يقل: فانكحوهن باذن سادتهن ، بل قال باذن أهلهن ، ليثبت الولاية .

صاحب البيت :ـ ياعماد ياولدي لقـــد شغلت الشيخ واتعبته وأود أن نسأل الشيخ عن حاله وعياله ؟

عارف : والله كلهم بخير والحمد لله .

هشام في التعليم الثانوي وشيماء في السادس الابتدائي ، وأمهم تعيش في خير حال ـ والحمد لله ـ

ابو عماد : ان شاء الله سنزوج عماداً لشيماء ، وهشاماً لوفاء أبنتي .

ما رأيك ياشيخ عارف ؟

عارف : هذا حديث سابق لوقته ...

لابد من نموّ الأولاد أولا .. ثم يصبح لهم الاختيار .

أبو عماد : ورأينا ياشيخ عارف ؟

عارف : رأي الوالدين استشاري فقط .

والكلمة الاولى والاخيرة للشاب والفتاة ...

عماد : دَعُونا من موضوع الزواج لنرجع الى موضوع العبيد .

عارف : لقد أصبحت أنسى كثيراً ياعماد .

ما هي النقاط التي ذكرتها لك ؟

عماد : أنت تمتحنني ياشيخ عارف ..

لقد تحدّثنا عن تاريخ المشكلة .

وتحدثنا عن موقف الاسلام من تأمين حرّية الاحرار .

وفتح باب العتق العادل ـ الذي يكفل للسيد حقّه، وللعبد حرّيته .

وتحدّثنا عن هبة الحريّة . قُربة الى الله، أو كفارة لقتل خطأ، أو ظهار أو يمين .

وعرفنا حُسن معاملة الاسلام للعبيد في حياتهم الماديّة والأدبية .

عارف : أحسنت ياعماد ...

ومن ناحية حُرمة الدم .

فقد ساوى الاسلام بين دم العبد ودم الحرّ .

قال ـ ﷺ ـ : من قتل عبده قتلناه... ومن جدع عبده جدعناه ... ومن أخصى عبده أخصيناه »

رواه البخاري ومسلم

فالدماء متكافئة بين الأحرار والعبيد .

عماد : لكنّ القرآن يقول : العبد بالعبد ..

عارف : إقرأ الآية من أولها فانتّها عامة في تسوية الدماء بين المسلمين ـ أحراراً وعبيداً ، رجالا ونساء ـ

قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ... الحرّ بالحر .. والعبد بالعبد ... والأنثى بالأنثى » ١٧٨ البقرة

فصدر الآية يُفيد عموم القصاص في كل دم أريق ظلما .

« كُتب عليكم القصاص في القتلى »

سواء كان المقتول حراً أو عبداً . رجلا أو امرأة .

أمّا قوله تعالى « الحر بالحر . والعبد بالعبد .

فجاء علاجاً لمشكلة جاهلية .

بعض عشائر العرب كانت تأخذها العزّة بالاثم .

فاذا اعتدى عبد من عشيرة أخرى على عبـد منهم يقسم أحدهم ان يقتل حراً ـ بريئا ـ بدم العبد المقتول منهم ، وان قـُتلت امرأة منهم يقتلون بدمها رجـلا ـ ولو كانت القاتلة امرأة .

وفي ذلك من الظلم ما فيه ، لأن القاتل ينجو ويقتل مكانه برىء .

فنهاهم الله عن ذلك ، وطلب منهم العدل في القصاص .
فلو قتل عبد عبداً فالقصاص من القاتل نفسه .
لا يجوز أن نتعداه الى برىء . ولو قتلـت امرأة امرأة فالقصاص من القاتلة .

* * *

عماد : بارك الله فيك يا شيخ عارف . ولكن ما معنى الاية الكريمة ؟

والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين » ٦ المؤمنون

عارف : ياعماد .. لقد أباح الاسلام للسيد أن يُعاشر
فتاته ـ غير المتزوجة ـ معاشرة الأزواج .
وذلك لاشباع حاجتها كأنثى من ناحية ـ
وليغدق عليها العطاء والزينة من ناحية أخرى .
لانها ستعيش في فراشه .
والأهم من هذا انه ان رزق منها بمولود ـ واعترف بنسبه
منها ـ فانها تصبح ام ولد ـ وينقلها ولدها الى الحرية
بمجرد موت أبيه .
هذا اذا لم تكن متزوجة .
اما اذا كانت متزوجة ، أو زوّجها سيدها ـ من رجل
آخر ـ فلايجوز لسيدها ان يعاشرها ،لأن الاسلام لايعرف
شيوع الجنس .

أبو عماد : ياشيخ عارف شغلك عماد عنا .
والعشاء جاهز .
وقد اعددت لك سمكة نهرية طيبة .
قم يا شيخ ...

« يقوم الشيخ ويجتمع الأحباب على الطعام »
وبعد الطعام يعود الحوار .

عماد : كل شيء تكرمت به في الحديث عن العبيد أراح صدري ..
ولكن لماذا لم يحرّم الاسلام الرِقّ تحريما نهائيا كما حرّم الخمر ؟

عارف : الحلول النظرية سهلة .
ولكن الاسلام يعالج الامور بحكمة وعدل .
فهو يبحث عن الحرية العادلة . ورحم الله أحمد شوقي وهو يصف منهج النبي في مٍعالجة الأمور فيقول :

داويت متّئداً وداوَوْا طفْرة
وأخفّ من بعض الدواء الداء

عماد : لكنّ الغرب استطاع الغاء الرق بقانون واحد .

عارف : لماذا الغى الغرب الرق ؟

عماد : احتراماً لحقوق الانسان .

« يضحك الشيخ ، ويتعجب عماد من ضحكه »

عماد : هل تضحك من اجابتي يافضيلة الشيخ ؟

عارف : لا ياعماد ..

ولكنني أحب أن تعرف أن الحقيقة شيء ، وما تردده أجهزة الاعلام في الغرب ، ونسمعه من تلاميذ الغرب في بلادنا ، شيء آخر .

ان الذئب اذا لبس ثوب الحمل الوادع ، وأمسك بمسبحة العابد ، تفضحه أفعاله حتما .

عماد : « مستغربا » ماذا تعني يافضيلة الشيخ ؟

عارف : ياولدي .. الغرب لا يعرف القيم .

مُخطىء من ظن يوماً أن للثعلب دِين .

ان تجارة العبيد في الغرب كانت من أربح التجارات ، وكان الغرب يُغير بقوافل كبيرة مسلحة على أفريقيا ويسرق أطفالها ، ويسبى شبّابها ليبيعهم في أوربا .

حدث ذلك بعد أن اتصلت الملاحة على ساحل الأطلسي ، وارتبط العالم الحديث بالعالم القديم .

ففي أقل من خمسين عاما نقل تجّار الغرب الى أوربا

عبيداً يبلغ عدد الباقي من ذريتهم ـ بعد القتل والاضطهاد نحو خمسة عشر مليونا في الامريكتين. وهو عدد يضارع خمسة أضعاف ضحايا النخاسة ـ يعني بيع العبيد ـ في القارات الثلاث منذ الف عام .

« حقائق الاسلام لعباس محمود العقاد »

ففي خمسين عاما استرقّوا حوالي ١٥ مليوناً فهل الغرب يعرف القيم ؟

عماد : لكن الغرب بعد ذلك الغى تجارة العبيد وحرّرهم .

عارف : ياعماد ياولدي .

يوم أن كان الغرب بحاجة الى خدم يسخرهم لقضاء حاجته في أوربا وأمريكا . كان يسمح بسرقة الاحرار السود، ونقلهم لبلاده، وبيعهم في سوق العبيد .

فلما جاء الغرب واستعمر بلادنا، وعزم على سرقة خيراتها، وجد نفسه بحاجة الى بقاء السود في بلادهم ليزرعوا الارض، وينقبوا عن المعادن، ويجنّدهم في المعارك الخاسرة.

أبقى الاستعمار على السود في افريقيا عنـدما احتاج الى
الأيدي العاملة الرخيصة في افريقيا .
أبقاهم عبيداً له و وتحت سياطه ، وحرّم نقلهم الى أوربا .
احتراما لاخلاق المنفعة ـ التي يؤمن بها الغرب .
ياعماد ..
ان دلالة العمل أعظم من دلالة الشعارات .
كيف نصدق الغرب في دعوته حقوق الانسان ونحن نرى
داخل بلاده « مشكلة الملوّنين » لم تجد لها حلا حتى الآن .
يقول الاستاذ عباس محمود العقاد :
فأن في الامريكتين الى اليـوم أمّة من السود معزولة
بأنسابها وحظوظها وحقوقها العملية تماما عن المجتمع »
حقائق الاسلام
ان الرجل الأسـود ـ حتى اليوم ـ لا يدخل مطاعم
البيض . ولا يدخل مدارس البيض . ولا يركب سياراتهم .
ومع ذلك لا يستحى الغرب من دعواه تحرير العبيد ،
واحترام حقوق الانسان .

باعماد ...

هذه مشكلة الملوّنين في أوربا وأمريكا ـ وفي القرن العشرين . أدرسها جيداً ، ثم أدرس وضع الارقاء في المجتمع الاسلامي فمنذ بداية الدعوة الاسلامية أعلن رؤساء الشرك أنهم لن يدخلوا في دين يُسوّى بين الاشراف والعبيد . (١)

وبلال بن رباح ـ العبد الحبشي ينادى «حيّ على الصلاة» فيلبي الاشراف دعوته .

والنبيّ ـ ﷺ ـ زوّج عبده ـ زيد بن حارثة من الشريفة زينب بنت جحش بنت عمّة النبي ليرفع العبيد ـ عمليا ـ

---

(١) طلب المشركون من النبي ان يجعل للسادة يوما وللعبيد والفقراء يوماً ، فرفض القرآن في قوله تعالى : واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يُريدون وجهه . ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » ٢٨ الكهف

الى الوجاهة الاجتماعية .

وعيّن النبي - ﷺ - زيد بن حارثة قائداً على سبعة جيوش في حياة النبي - ﷺ - .

تقول السيدة عائشة - رضى الله عنها -

ما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيد بن حارثة في سرية الا أمّره عليها قائدا .

ولو بقى زيد بن حارثة لاستخلفه النبي بعده .

أسد الغابة ج ١ ص ٢٧٧

ولما استشهد زيد بن حارثة ، وجعفر ، بكى النبي عليهما وقال :

أخواي ، ومؤنساي ، ومحدّثاي .

ولم يذكر القرآن اسم أحد من الصحابة الا زيد بن حارثة .

في قوله تعالى « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها »

٣٧ الاحزاب

ياعماد ...

هؤلاء هم العبيد في ظل الاسلام .

لقد عيّن النبي اسامة بن زيد ـ وهو في الثامنة عشر من عمره قائداً على جيش كبير ، كان في طريقه الى أول معركة دولية بين العرب والروم .

وكان كبار الصحابة جنوداً في هذا الجيش وكان قرار تعيين أسامة هو آخر قرار أصدره النبي في حياته . ثم لقى النبي ربه ، بعد أن أصبح العبيد قادة ... والسادة جنوداً ... والكل يعمل لحساب الاسلام .

* * *

عماد : لقد غابت هذه الحقائق عنّا كثيرا ..
ولكن ـ ربما بحكم سني ـ كنت أنتظر ان تنزل آية تلغى نظام الرق الى الابد .
أعتذر ـ يافضيلة الشيخ ـ أنا لا اقترح على الله .
ولكنه حبي للاسلام ...

عارف : لو انتهت الحروب الى الابد .
وأغلقت مصانع الاسلحة .

وسرّحت كل جيوش العالم .
وعاش الناس جميعا في محبة .
يومها ـ فقط ـ يمكن ان يصدر الاسلام أمراً بلغى الرق

عماد : هذا خيال بعيد.. الحروب باقية الى يوم القيامة .

عارف : كذلك الرق ـ الذي اعترف به الاسلام ـ باق الى يوم القيامة .

الاسلام ألغى كل أنواع الرق ، ولم يبح منه الا استرقاق أسير الحرب ـ الذي خرج من بيته يريد حرب الاسلام ، وإضعاف شأنه . فوقع اسيراً .

ومع ذلك لم يُحتّم الاسلام على القائد المسلم أن يسترق كل أسير .

بل جعل للقائد الخيار بين أمور ثلاثة .

أولا : ان يمنّ عليه بالحرية بلا مقابل ـ إنْ علم أنّ الاسير من النوع الكريم ، ويمكن ان يصلحه العفو ، ويعيده الى صوابه .

بشرط أن يكون المن عليه بالحرية لا يُقوّى صفوف

الاعداء .

ثانيا : ان يقبــل منه الفداء ــ مادياً كان هــذا الفداء أو خدمات تعود على السلمين بالخير ــ كما فعل النبي - ﷺ - مع أسرى بدر .

ثالثا : تبادل الأسرى .

وقد أجاز أبو يوسف ومحمد ــ من تلاميذ ابي حنيفة ــ عملية تبادل الاسرى ــ بين المسلمين والمشركين ــ واستدلوا على ذلك بما روي أن النبي - ﷺ - استبدل أسيراً من بني عامر بن صعصعة بأسيرين من المسلمين كانت ثقيف قد أسرتهما .

تفسير آيات الأحكام ح ٤ ص ٧٠

وعملية تبادل الاسرى هي النظام المعروف في كل شعوب الارض. ولكن الاسلام فاقها بالمنّ على الاسير تأليفاً لقلبه. قال تعالى : فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب . حتى أثخنتموهم فشدّوا الوثاق . . . فإمّا منّاً بعد . . .

وامّا فداء... حتى تضع الحرب أوزارها.

فالاسلام شرع استرقاق الاسير – حتى يفدى نفسه ، أو تقوم الجماعة التي دفعته للمعركة بفدائه . أو يظل رقيقا في مجتمع مسلم ، فيرى حياة المسلمين وكرمهم في معاملة الاسرى فربّما يهديه عقله للاسلام .

فالرقّ باق ما بقيت الحروب .

والاسلام كان يسترق الاسير كما كان خصوم الاسلام يسترقّون الاسرى من المسلمين .

وكل دول العالم حتى الآن تحبس الاسرى في السجون الحربية حتى تفديهم أممهم .

عماد : الآن عرفت حقيقة الامر ، وفهمت منهج الاسلام .

ان الذين قرأنا لهم ظلموا الاسلام وجهلوا منهجه .

عارف : العجيب ياعماد ..

أن الذين يتّهمون الاسلام باسترقاق العبيد ، هم الذين استعبدوا الاحرار في بلادهم !!

عماد : هذا والله صحيح ... اكرمك الله .

وطلب المجلس من الشيخ أن يزيد ، من البيان المفيد .
ولكن الشيخ قد اعتذر ، لان السائق قد حضر .
فالى لقاء جديد ، لننهل ونستفيد .



الفصـــل الثـاني

* أسباب المشكلة .
* لماذا النبي - ﷺ - وحده .
* زهرة في الصحراء .
* زواج رسالة .
* لستن كأحد من النساء .

بســـم الله الرحمـن الرحيـم

عزم الشيخ على زيارة الريف البديع ، في عطلة فصل الربيع .
لينعم بخيره الوفير ، وجمال الهدير . وشقشقة العصافير .
وأدرك شباب القرية ، أن الله منحهم هدية .
فسارعوا الى بيت الشيخ فرحين ، ليتبصروا بأمور الدين .
وفرح الشيخ بالشباب ، وأعد لكل سؤال جواب .

وائل : لقد جمعنا الله ياشيخ عارف ـ والحمد لله ـ
وقد انتفعت بنصيحتك، وقرأت كثيراً من كتب السيرة،
فأخذت الحق من أصحابه ـ وعنـد جهينة الخبر اليقين ـ
كما قال المثل العربي" .
ولكن بعض القضايا أحب" أن أسأل فضيلتكم عنها .

عارف : تفضل ياوائل .

وائل : لماذا أباح الاسلام تعدّد الزوجات ؟

عارف : الاسلام حدّد عدد الزوجات باربع فقط،بعد ان

كان مُباحاً ـ قبل الاسلام ـ على الاطلاق .
فالاسلام ضيّق المطلق .
وائل : تعني ان تعدد الزوجات كان مباحاً قبل الاسلام عند العرب ؟
عارف : عند العرب وعند أصحاب الديانات السابقة على الاسلام .
فالتوراة ـ التي يؤمن بها اليهود والنصاري ـ تخبرنا ان سيدنا سليمان تزوج ثلاثمائة إمرأة بعقد دائم، وسبعمائة امرأة من الاماء .
وائل : « مُتعجّبا » الف امرأة ؟
الشيخ : نعم ... هكذا يقول الكتاب المقدس .
سفر الملوك ١١ ـ ١.
وائل : نبيّ يجمع الف امرأة في بيته هذه مسألة لا يثيرها أحد، ولا يكاد يعرفها أحد ..
ونبيّ الاسلام عندما يجمع تسع نساء في بيته، لا يخلو مجلس من مناقشة هذه القضية ! !

عارف والعجيب ياوائل انّ الذين يطعنون النبي محمداً في موضوع زواجه . هم الذين يؤمنون بزواج سليمان من الف امراة . مع ايمانهم بنبوّته .

وائل : ولكن لماذا لم يحدّد الاسلام زوجة واحدة لكل رجل ؟

عارف : الحياة الزوجية ـ عند المرأة ـ تتعطل في كل شهر مدة قد تصل الى عشرة ايام ، كما تتعطل عقب الولادة مدةً قد تصل الى شهرين .

فلو التمس الزوج زوجة اخرى لعل له بعض العذر . حتى لا يقع في جريمة الزنا .

ولكن هـذا السبب لا يعنينا كثيراً . فالرجل السويّ اقوى من رغباته . ولكن الاسلام تشريع للجميع ، فلا بدأن يسع كل الناس .

ولكن الامر المهم ان الاحصائيات تؤكد ان عدد النساء اكثر من عدد الرجال . خصوصا بعد الحروب الواسعة . فلو تزوج كل رجل بامرأة واحدة ، لبقى عدد كبير من

النساء بلا زوج يعشْن طاقات معطلات .

لذلك كان يجب على دين يُشرّع لكل الناس في كل عصر أن يضع حلا لكل مشكلة .

من أجل هـذا أباح الاسلام ان تشترك أكثر من امرأة في رجل واحد. من باب ـ مالا يُدرك كلّه .. لايترك كله وهذا الاشتراك هو الذي نُسمّيه : تعدد الزوجات .

وائل : اذن المشكلة في الاصل مشكلة طبيعية سببها زيادة عدد النساء على عدد الرجال .

عارف : نعم ياوائل . والاســـلام وضع لها الحلّ عندما حدّد عدد النساء بأربع فقط .

وائل : فلماذا أباح الله للنبي تسع نساء ؟

نجيب : أعتقد هذه ميزة ميّز الله بها النبي - ﷺ -

عارف : أضرب لكما مثالا لتعرفا ـ هل هذه ميزة للنبي أم لا .

أحد أصدقائي له ولدان في الجامعة .

أعطى الاول الف دينار ، وقال له : ليس لك بعدها شيء

حتى تنتهي من دراستك .

وأعطى الثاني عشرة دنانير وقال له :

كلما احتجت مالا أعطيتك .

فأيّ الولدين ميّزه أبوه ؟

نجيب : الثاني طبعا .

لأن باب العطاء أمامه مفتوح .

عارف : بدون تشبيه ، ولله المثل الاعلى .

للمسلم أن يجمع أربع نساء في عصمته .

فاذا ماتت واحدة أو طلقها « ومضت مدّة عدتها » فله ان يتزوج غيرها ـ الباب امامه مفتوح ـ اذا كان قادرا عادلا . (١)

---

(١) المتزوج من أربعة لو طلق واحدة منهن فليس له الحق ان يتزوج غيرها حتى تنتهي عدة الزوجة المطلقة . وهذه الحالة تجب فيها العدة على الرجل كما تجب على المرأة . راجع حاشية ابن عابدين ج ٣ ص ٥٠٣

امّا النبي ـ ﷺ ـ فقد أباح الله له تسع نساء ثم قال له :
لا يحلّ لك النساء من بعد ، ولا أن تبدّل بهنّ من
ازواج ، ولو أعجبك حسنُهن »   ٥٢ الأحزاب

وائل : ولكن هل يُعتبر زواج النبي من التسع نساء
تجاوزا للآية الكريمة « فانكحوا ما طاب لكم من
النساء مثنى وثلاث ورباع »   ٣ النسآء

عارف : النبي لم يخالف نصاً قرآنيا أبداً .
لقد نزلت الآية الكريمة ـ التي حدّدت العدد بأربع فقط .
نزلت في السنة الثامنة من الهجرة ، وكان النبي يومها قد
جمع كل نسائه .

نجيب : هل تحفظ تاريخ نزول سور القرآن، يافضيلة
الشيخ ؟

عارف : يانجيب : سورة النساء ـ التي حددت العدد بأربع
نساء . نزلت بعد سورة الممتحنة .
وسورة الممتحنة نزلت والنبي يستعد لفتح مكّة .
ومعلوم ان سبب نزولها هو ارسال « حاطب بن ابي

بلتعة، للمشركين يخبرهم بعزم النبي على فتح مكة .

فالنبي عندما تزوج تسع نساء كان الجمع مباحاً لأيّ عدد .

ولما نزلت آية التحديد بأربع نساء ـ كان بعض الصحابة عنده اكثر من اربعة، فاحتفظ بأربعة، وطلق الباقيات .

وائل : لماذا لم يطلق النبي الزائدات على اربعة ؟

عارف : أيّ امرأة اذا طلقت تزوجت من رجل آخر .

أما نساء النبي فهن امهات المؤمنين . (١)

ولا يجوز لمؤمن ان يتزوج امه من الايمان .

لذلك حرّم الله على المؤمنين ان يتزوجوا نساء النبي بعده . (٢)

فلو طلق النبي احدى نسائه ما تزوجت بعده ...

---

(١) قال تعالى : «النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم» ٦ الأحزاب

(٢) «ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبداً» ٥٣ الأحزاب

من أجل ذلك، أذن الله للنبي ان يُبقى على نسائه • (٣)،
ولا يطلق أحداً منهن •

الشيخ : هناك سبب آخر لبقـاء زوجات النبى في عصمته
ـ وهو ان زواج النبي زواج رســالة • وله مقاصـد
سامية •

فلو طلق الرســول عدداً من نسائه لضاعتِ الحكمة من
الزواج بهن •

ان اسباب زواج النبي ـ ﷺ ـ اربعة •

سبب إنساني •

وسبب سياسي •

وسبب تشريعي •

وسبب تعليمي •

وأوجز الحديث عن الاسباب الاربعة بمقدار ما يؤكد أنّ
طلاق ما زاد على اربع يتنافى مع الحكمة من زواجهنّ •

* * *

(٣) **ياايها النبي إنا احللنا لك أزواجك** ، ٥٠ الأحزاب.

السبب الأول :

سبب انساني ، كرّم النبي - ﷺ - به أرامل الشهداء - الذين دفعوا أرواحهم لحماية الاسلام - تاركين وراءهم أرامل ويتامى .

فالأرملة العجوز السيدة سودة بنت زمعة «رضى الله عنها» تقول :

والله لا حاجة بي الى الرجال ، ولكنني أردت أن أبعث مع زوجات النبي أمهات المؤمنين . والأرملة الثانية - أم سلمى - وهي أرملة ذات يتامى ، تزوّجها النبى بعد استشهاد زوجها حماية لها ، ورعاية لليتامى .

والأرملة الثالثة هى السيدة - حفصة بنت عمر - استشهد زوجها ، وعرضها أبوها على أبى بكر فاعتذر ، وعرض زَوَاجَهَا على عثمان فاعتذر ، فكرّم النبي عمر وتزوّج من حفصة .

* * *

السبب الثاني :

سبب سياسيّ . استطاع به النبي - ﷺ - أن يؤلف قلوب أعدائه - الذين حاربوه خوفا على مراكزهم الاجتماعية .

لقد صاهرهم النبىّ فصهر ما في قلوبهم من حقد على النبى وعلى دعوته .

تزوج من السيدة أمّ حبيب بنت أبي سفيان، ومن السيدة جُويرية بنت سيد بنى المصطق .

ومن السيدة صفيّة بنت حُييّ بن أخطب من اليهود .

وقد أجمع المؤرخون على أن هذا الزواج قد فعل ما لم تفعله الحروب الضارية .

فقد الف القلوب - التى طالما حقدت على الاسلام، ونبى الاسلام ، فدخلوا وأقوامهم في دين الله أفواجا . (١)

● ● ●

(١) معلوم من دراسة التاريخ ان زواج النبى من السيدة =

السبب الثالث :

سبب تشريعى ، اراد الله به ان يكون النبى هو اول من يطبّق الامور الحرجة من الشريعة على نفسه اولا .

فعندما الغى الاسلام نظام التبنّى ، اراد الله ان يمحو كل الآثار التي كانت تترتب عليه .

وأهم هذه الآثار ، ان العرب كانت تحرّم على الرجل ان يتزوج من مطلقة متبناه . فأمـر الله نبيه ان يتزوج من السيدة زينب بنت جحش - بعد ان طلقها زوجها - زيد ابن حارثة - الذي كان النبى تبنّاه قبل النبوة - وهو أصعب زواج على النبى - ﷺ - لما أثاره من كلام المنافقين. ولكن الله هو الذي زوجه . قال تعالى :

فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهنّ وطراً وكان أمر الله مفعولا » ٣٧ الأضراب

= صفية بنت حيى لم يؤت الثمرة التى رجاها النبى من الزواج ، وهى هداية قومها .

السبب الرابع :

هو أن زوجات النبى كن مدرسات في جامعة النبى ﷺ يأخذن عنه ما يتعلق بالمرأة من أحكام شرعية ويعلمن نساء المسلمين .

وقد فرض الله على نساء النبى أن يلازمن بيت النبى ليتعلمن منه ما ينزل من السماء ، ثم يعلمن الناس .

قال تعالى :

« واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة »

٣٣ الاحزاب

فهو زواج رسالة وتعليم .

● ● ●

مشيئة الله :

وقد شاء الله تعالى ان لا يشغل نساء النبى بالحمل والولادة وتربية الاطفال — حتى لا ينشغلن عن الرسالة —

لقد كان نساء النبى صالحات للحمل .

وبعضهن انجبت اطفالا قبل الزواج من النبى .

والنبى كان صالحاً للانجاب .
وقد انجب بالفعل قبل الزواج منهن .
لقد انجب من السيدة خديجة .
ورزقه الله بابراهيم من السيدة مارية القبطية .
فما سرّ عدم حمل نسائه منه - ﷺ - ؟
انه زواج رسالة - يانجيب -

نجيب : الآن عرفت حكمة الله البالغة من زواج النبى ﷺ
ولو كان النبى يريد بالزوجات ما نريد نحن من زوجاتنا
لعدّد الزوجات في سن الشباب .

الشيخ : النبي - ﷺ - لم يُعدّد الزوجات الا بعد الثالث
والخمسين من عمره .
وقد قضى صــدر شبابه مع السيدة خديجة - التي كانت
تمثل في حياته دور الأم والزوجة .

نجيب : تعدد الزوجات لا يُعيب الرجل .
ولكن الذي يعيبه ان يشغله هذا الزواج عن الأمور
الكبيرة . او يميل قلبه الى زوجــة فيظلم الباقيات ،

ويضيع اولادهن .

الشيخ : احسنت يانجيب ...

لقد كان النبي - ﷺ - نموذجا للعدل المطلق بين نسائه .

ولو درسنا التاريخ لوجدنا ان فترة تعدد الزوجات - في حياة النبي - هي فترة الجهاد المسلّح فقط .

وهي الفترة التي انشغل فيها النبي في كل لحظة من حياته بالدفاع عن دولة الحق ، وتثبيت أركانها .

ويمكنكم يااولادي ان تقسّموا حياة النبي الى اربع مراحل متميّزة .

مرحلة الشباب :

كان النبي فيها زهرة في الصحراء ، وكان عافاً نظيفاً في بيئه لا تعرف العفاف .

فلو عاش كما يعيش غيره ما عاب أحد عليه ذلك .

ولكن الله أراد عصمته وطهارته ، في مرحلة الشباب - التي تفسّر شخصية الانسان ، وتكشف معدنه .

● ● ●

المرحلة الثانية :

من الخامس والعشرين الى الثالث والخمسين .

كانالنبي زوجاً لامرأة واحدة ، تكبره بخمسة عشرعاماً.

ومع ذلك لم يتزوج عليها . وفاء لها ، واكتفاء بها . فلما

ماتت ظلّ النبي بلا زوجة خمس سنوات .

* * *

المرحلة الثالثة :

من الثالث والخمسين الى الواحد والستين .

وهي مرحلة الشيخوخة .

ومرحلة الجهاد المقدّس .

والعجيب ان هذه المرحلة هي المرحلة الوحيدة التي عدّد

النبي فيها الزوجات . مع كثرة انشغاله وجهاده .

* * *

المرحلة الرابعة :

من الواحد والستين ، الى وفاته ـ ﷺ ـ وهي مرحلة

النصر ، والوفود ، والمعاهدات .
تم فتح مكة ، ودخل أهلها في دين الله أفواجا .
لقد بدأ الجهاد الطويل يؤتى ثماره .
وأوشك النبي ان يستريح بعض الشيء .
ولكن هذه الفترة حرّم الله فيها على النبي أن يُنشىء زواجاً جديداً . لأنّ زواجه قد أدىّ رسالته .
قال تعالى :
« لا يحلّ لك النساء من بعد ، ولا أن تبدلّ بهن من أزواج ولو أعجبك حسنُهنّ » . ٥٢ الأحزاب

نجيب : ـ سبحان الله ـ
مرحلة الجهاد العسكري هي وحدها مرحلة تعدد الزوجات ؟ !
وهذا يؤكد أنّه زواج رسالة .
ألّف القلوب ، وجمع كلمة الأمّة .

● ● ●

وائل : يافضيلة الشيخ .

هل يمكن أن نمتلك هذه الفرصة ، لنعرف شيئا عن حياة النبي - ﷺ - في بيته ؟

الشيخ : اعتقد ان الطعام قد حان وقته ، فلنؤجل الكلام.. الى ما بعد الطعام .

يجلس الجميع على مأدبة الطعام ، يتجاذبون أطراف الكلام ، وتدور الذكريات ، تحملها الكلمات ، في عبارات وعبرات .
فلنترك الجماعة ، ساعة أو بعض ساعة .

* * *

نجيب : جال في ذهني سؤال ، وأنا أتناول الطعام :
هل كان النبى - ﷺ - يعيش في مثل هذا الرخاء من طيب العيش ، وسعة ذات اليد ؟

الشيخ : يانجيب .
لقد اخبرتنا السيدة عائشة - رضى الله عنها - أنّ بيت النبّوة كان يقضى الشهر والشهر ولا تُوقد فيه نار على طعام .

وائل : على أيّ شيء يعيشون ؟

الشيخ : على الأسودين .. الماء والتمر ...

« أصل الحديث في صحيح مسلم »

وقد روت السيدة سلمى ـ امرأة أبي رافع ـ رضى الله عنهما ـ أن الحسين بن علي، وعبد الله بن جعفر، وعبدالله ابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ

طلبوا منها أن تصنع لهم طعاما كان النبي يُحبّه .

فقالت لهم :

يابنيّ .. اذن لا تشتهونه اليوم .

فقامت وطحنت الشعير، وجعلت تخبزه وتضع عليه الزيت، وتنثر عليه الفلفل، وقدّمته اليهم وقالت : كان النبي يُحبّ هذا الطعام . « رواه الطبراني »

وكان النبي ـ ﷺ ـ ينام على حصير فيؤثر على جنبه .

فلمّا رآه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بكي .

وقال : ان كسرى وقيصر ينامان علي الحرير .

فقال النبي ـ ﷺ ـ هؤلاء أقوام عجّل الله لهم الدنيا .

« حياة الصحابة حـ ٢ ص ٧٦٩ »

وكان النبي يبسط رداءه للضيف ، ويبش في وجهه .

روى البخارى : أنّ النبيُ - ﷺ - بسط رداءه للامة التي أرضعته .

عجيب : كل شيء في سيرته الشريفة يؤكد صدق دعوته .

× × ×

الشيخ : لقد بدأ النبي دعوته وهو زوج لأغني امرأة في قريش .

ولكنه بذل ماله ومال زوجته في سبيل نشر دعوته .

ولما شرع الاسلام الزكاة والصدقة - وهما مصدران واسعان للثروة .

نرى النبي - ﷺ - يُحرّم أموال الصدقة والزكاة على نفسه وعلي آل بيته . !!

روى البخارى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ الحسن بن علي - رضي الله عنهما - اخـــذ تمرة من تمر الصدقة - وهو طفل - فجعلها في فيه .

فقال له النبي (كخ كخ) ليطرحها .

ثم قال : أما شعرت أنـّا لا نأكل الصدقة .

وفي رواية مسلم « لا تحلّ لنا الصدقة » (١)

ومع أنّ الله فتح للنبي – ﷺ – كنوز الأرض من الغنائم التي جاءته .

إلا أنّ النبي أصرّ على عيشة الكفاف – مع أنّه رئيس دولة ، وقائد أمّة .

وقد تحدّث القرآن عن هذا الأمر . وأحبّك أن تدرس سورة الأحزاب ، لتقف على حقيقة بيت النبي – ﷺ – لقد عاش نساء النبي سنوات طوال في صبر على شظف العيش .

وتناست بنات الملوك النعيم – الذي كن يعشنّ فيه قبل الزواج من النبي – ﷺ –

---

(١) فقه الزكاة الجزء الثاني ص ٧٢٨ . وقد ذكر المؤلف بحثا وافيا في موضوع الصدقة وتحريمها على آل بيت النبي .

عشن راضيات .. قانعات ـ حتى فتح الله خزائن الأرض للنبي - ﷺ - وجاءته الغنائم - التي وعده الله بها في قوله تعالى : « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها .. فعجّل لكم هذه . وكفّ أيدي الناس عنكم » « ٢٠ الفتح »
وتحسّن حال المسلمين جميعاً - الا بيت النبي - ﷺ -
وامتدّ الشظف الى بيت فاطمة الزهراء - التي كانت تعيش مع بطل الدعوة ، وسيفها - علي بن أبي طالب - كرّم الله وجهه -
لقد أدارت فاطمة الرحى لطحن الشعير - حتّى أثّرت الرحي على يدها .
وعندما سألت والدها النبي - ﷺ - أن يهبها من العطاء عبداً يُساعدها على العمل - كما اعطي النبي غيرها من المسلمين - قال لها النبي :
لا اعطيك ... وأدع فقراء المسلمين .
ثم ضمّها النبي الا صدره عندما رأى الدمع في عينيها .
وقال له

ألا أدلك على خير من ذلك ؟
سبحي الله ثلاثاً وثلاثين..
واحمدي الله ثلاثا وثلاثين ..
وكبّري الله أربعاً وثلاثين..
فهذه مائة خير لك من الدنيا وما فيها .
هكذا كان يعيش بيت النبي - ﷺ -.
ولكن نساء النبي شاهدن بيوت المسلمين أصبحت مطاعم طيبة ، وفرش ناعمة .
فبدا لزوجات النبى ان يسألنه النفقة ، وسعة العيش - كبقية المسلمين .
كان مطلبهن عادلا ، وكان النبي يحترم دائما بشريّة الانسان، وفطرته .
ومع هذا رفض النبي طلبهن .
وغضب حين أدرك ان نساءه يردن الدنيا ومباهجها .
لأنه - ﷺ - كان يُربّى فيهن نماذج للاسوة والاقتداء .
واعتزل النبى نساءه شهرا كاملا .

ونزل القرآن يؤيّد حزم النبي في تربية نسائه .

ولكنّ القرآن لم يُرغم نساء النبي على قبول هذا الكفاف. بل خيّرهن بين البقاء في بيت النبي على عيش الكفاف ، وبين الطلاق . ليخرجنَ من بيت النبي الى وسعة الدنيا وزخارفها .

قال تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تُردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرّحكن سراحاً جميلا ...

وإن كنتنّ تُردنَ الله ورسوله والدار الاخرة فانّ الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً .. »

٢٩ الأحزاب

وطلب النبي من نسائه أن يتخيّرن .

فاخترن الله ورسوله . ورضين بحظهنّ من الدنيا ، فما أسعدهنّ بجوار رسول الله ـ ﷺ ـ

فمسألة التخيير هي أصدق شاهد على صدق النبي الكريم وعفته .

نجيب : ألستَ معي يافضيلة الشيخ أنّ الرجل الباحث عن مُتعة الجسد يحاول أن يملأ حياة نسائه بالنعيم والترف حتى ينعكس النعيم دلالا ونُضرة في وجوههن؟

« ساجدة تنادي على الشيخ تستعجله العودة الى المدينة .
لقد قصدت الريف لتقضي يوماً في الحقول، وبجوار الأنهار .
ولكن الشيخ قد انشغل طول النهار . بالحديث عن زوجات النبي المختار .
فانتقل الجميع الى الحقول ، وواصلوا الحديث عن زوجات الرسول :

وائل : ولكنني أسألك بالله يافضيلة الشيخ :
هل كان نساء النبي يشعرن بشعور الضرائر .

الشيخ : تنافُس نساء النبى فيما بينهن ، وتسابقهن الى الفوز برضاه - ﷺ - هو السبب في غيرتهن .
ولكن النبى كان يقود هـــذا الجمع من الضرائر بحكمة بالغة .

إن قيادة جيش عظيم ، أهون من قيادة تسع نساء يتسابقن

عليه - ﷺ -

لقد كانت فيهن الزوجة العجوز . والشابة الفتية . وفيهن الزوجة الفقيرة ، وبنات الملوك .

ومع ذلك كان عدل النبى - ﷺ - يجعل كل زوجة تشعر بأنّها أحبّ نساء النبى اليه .

كان النبى يعدل بينهن في العطاء .

ويعدل بينهن في المبيت .

ويعدل بينهن - حتى في الابتسامة -

كان يعدل فيما يملك من توزيع الحظوظ .

وكان يعتذر لله عمّا لا يملك من حُب القلب .

لقد كان للنبى هيبة في قلوب المسلمين . جعلت بعضهم يُقسم أنّه لا يقوى على النظر في وجه النبى من فرط هيبته .

ومع ذلك كان النبي يُحاول أن يجعل من نفسه الزوج محمد .

ولا يجعل من نفسه الرسول النبي .

وذلك حتى تأخذ نساؤه حقوقهن .
لقد كانت بعض زوجاته تمزح مع الأخرى بحضور النبي ، والنبي يبتسم .
تروي السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ
منها أتت النبي ـ ﷺ ـ بحريرة قد طبختها له .
وطلبت من السيدة سودة بنت زمعة ـ زوجة النبي ـ أن تأكل منها .
فلما امتنعب سودة من الأكل قالت لها عائشة : إمّا ان تأكلي ... وإما ان الطخ الطعام في وجهك .
فلما أصرت سودة على عدم الطعام ، طلت السيدة عائشة وجه السيدة سودة بالطعام .
فضحك النبي ـ ﷺ ـ ثم أخذ قطعة من الطعام وأعطاها لسودة وقال لها : الطمي وجهها .
وضحك النبي .
فلما سمع صوت عمر قال النبي لهما :
اغسلا وجهيكما ...

قالت عائشة : فما زلت أهاب عمر لهيبة النبي له .

« رواه ابن عساكر »

بهذا الأسلوب اللطيف استطاع النبي ان يجمع قلوبهن .
وكان يراعى سن كل واحدة منهن ويحاول ان يملأ حياتها.
تروي السيدة عائشة انّها كانت مع النبي في سفر .
فسابقته .. فسبقته .
فلمّا حمل جسمها اللحم سابقها النبي فسبقها .
فلما رأى على وجهها بعض الالم .
قال لها : « هذه ... بتلك »
اي مرة بمرة ...

ساجدة : هل تستطيع ان تسابقني ياعارف ؟

عارف : لقد تغيّرت نظرة الناس للعلماء يا أم هشام .
ولكن اقيم بينكم مسابقة علميّة .
ما هي الكلمة التي تقسم القرآن الى نصفين بالتساوي ؟

هشام . الكلمة التي تقسم القرآن بالتساوي الى نصفين هي قول الله تعالى :

« أمّا السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر »
« ٧٩ الكهف »

الأب : هذه تقسم القرآن الى جزئين من ناحية عدد الأجزاء .

أمّا الكلمة فهي قول الله تعالى «وليتلطف» في قوله تعالى: فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيّها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه **وليتلطف** ولا يُشعرنّ بكم أحداً . « ١٩ الكهف »

هشام : ما هي السورة التي لم تخل آية فيها من ذكر اسم الله ؟

شيماء : سورة « قل هو الله أحد »
في كل آية اسم الله ، أو ضمير يعود عليه ـ سبحانه ـ

ساجدة : لا ..
السورة هي سورة المجادلة .

هشام : أحسنت يا أمّي الحبيبة .

وائل : حرصي على الوقت ـ الذي أعيشه مع الشيخ يجعلني

أرجو الشيخ أن يزيدنا من الحديث عن معاملة الرسول لنسائه .

مع أن المسابقة مفيدة وشيّقة .

الشيخ : قلت لك يا وائل : إنّ النبيّ - ﷺ - كان يحترم سنّ نسائه ، ويُقدّم لكل سنّ ما يلزمه .

وكذلك كان يحترم عقل نسائه ، ويستشيرهن في بعض القضايا الكبيرة - تكريماً لهن .

عندما عزم النبي على الرجوع من صلح الحديبية ولم يصل الى مكة ، أمر الناس أن يتحللوا من العمرة ، فيحلقوا أو يقصّروا .

ولكنّ الغمّ الذي أصاب المسلمين - لعدم زيارتهم للبيت - جعلهم يتباطؤن في التنفيذ ، لعلّ الله أن يأذن لهم بأداء العمرة .

ودخل النبي على إحدى نسائه يقول لها : لقد هلك الناس . أمرتهم فلم يفعلوا ... !!

فأشارت عليه :

أن أخرج أمامهم واحلق شعرك فلن يتباطؤا .
وكان الأمر كما أشارت . . .
خرج النبي أمام الناس ، وحلق رأسه ، فسارع الجميع الى الحلاقة . وانتهت المشكلة .
نجيب : هذا تكريم عظيم للمرأة يا فضيلة الشيخ .
الشيخ : الاسلام كرّم المرأة في كل ميدان يا نجيب .
وتعليم المرأة دينها نوع من تكريم الاسلام للمرأة .
لقد صبر النبي على تعليم نسائه - حتى يُعدّهن لتحمّل أمانة التبليغ .
عن أبي مكيلة. ان عائشة - رضى الله عنها - كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلاّ راجعت النبي فيه حتى تعرفه .
وفي يوم سمعت النبي - ﷺ - يقول :
من حُوسب عُذِب - اي من حاسبه الله يوم القيامة عذّبه -
قالت عائشة : فقلت : او ليس يقول الله - تعالى - « فسوف يُحاسبُ حساباً يسيراً » الانشقاق ٨

قال النبي الكريم : « انما ذلك العرض ... ولكن من نوقش الحساب يهلك » عمدة القارى حـ ٢ ص١٣٦

وائل : لقد اطلنا الحديث معك يا فضيلة الشيخ، واعتدينا على وقت الاسرة في الراحة ، ولكنّ كرمك اطمعنا .

نجيب : بقي لي رجاء عند الشيخ .

وهو ان نقضي يوم غـد في بستاننا ، فهو غنى بالظلال والثمار .

الشيخ : غداً في بستانك يا نجيب ان شاء الله .

* * *

اللقـــاء الثـــالث

* عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا .
* عفو القادر . لا سماحة المهزوم .
* حطّموا الحواجز ، واشعلوا الشموع .
* اين ذهب المغول ؟
* الفتوحات الاسلامية ، غير انتشار الاسلام .

مع جمال الريف، وهوائه اللطيف ، جلس الشباب الكرام،
ينعمون بحلو الكلام . ويطلبون من الشيخ اطالة المقام .
فالى بستان نجيب في حياء ، يجمعنا الحب والوفاء .

وائل : عرفنا في لقائنا السابق عظمة النبي في بيته .
فهل يمكن ـ يا فضيلة الشيخ ـ ان نناقش مشروعية القتال
في الاسلام .

الشيخ : « مبتسماً » ماذا تعني يا وائل ؟

وائل : والله يا فضيلة الشيخ انني الآن أؤمن بالله ايماناً
بلا حدود .
وأؤمن بنبوة محمد ـ ﷺ ـ عن يقين .
وطهر الله قلبي من كل شيء قرأته للمستشرقين .
لكنني اطلب المزيد من الحق ...

الشيخ : انت تعرف يا وائل ان النبي ـ ﷺ ـ جاهد
كثيراً بالحجة والبرهان ليوقظ العقل البشري، وكان يهدف
بذلك الى تحرير الانسان من عبودية غير الله .
ولكن زعماء الشرك افزعهم الامر، وخافوا على مناصبهم،

ومصالحهم ، فرفعوا السيف في وجه النبي - ﷺ - وعذّبوا أتباعه ، وألجأوهم الى الهجرة ، وصادروا ديارهم ، وأموالهم .

ويومها .. لم يكن في استطاعة النبي - ﷺ - سوى أن يُواسِي أصحابه ، ويطالبهم بالصبر ، ويبشرهم بالفرج .

هاجر النبي .. وهاجر أصحابه .. ووجدوا في المدينة تُربة خصبة ، وقلوباً صافية .

وانتشر الاسلام ...

وعلت كلمة الله ...

ويومها أذن الله للمستضعفين أن ينتصروا .

قال تعالى : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ...

وَانّ الله على نصرهم لقدير .

الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنَا الله . ٤٠ الحج

فالآية الكريمة وضّحت سببين لفرض القتال .

السبب الاول :
أن المسلمين مقاتَلون من جبهة أعـــدائهم ، طوال مدّة إقامتهم بمكة .
السبب الثاني : أنهم ظلموا .
ومن حق المظلوم أن يدافع عن نفسه ، وينتصر .
ومن شيم أصحاب النفوس الكريمة ترفعهم عن الاستكانة
قال تعالى في وصف المؤمنين :
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون .
وجزاء سيّئة سيئة مثلهــا .. فمن عفا وأصلح فأجره على الله . انه لا يحب الظالمين .
ولمن انتصر بعد ظلمة فأولئك ما عليهم من سبيل .
انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق » ٣٩ الى ٤٣ الشورى
فانتصار المظلوم لنفسه واجب وكرامة .
نجيب : والآية اشارت أيضا الى العفو . «فمن عفا وأصلح فأجره على الله » .

الشيخ : والعفو الذي تعنيه الآية هو عفو المنتصر .
الراغب في الاصلاح . وليس عفو المستكين .
و كلا الامرين لا يقدر عليهما المظلوم حتى ينتصر .
وعندما انتصر النبي عـــلى اهل مكة ، عفا عنهم عفو القادر .

وهذا هو عفو الكرام .

كما طلب القرآن من المسلمين ان يقاتلوا من اجل نصرة جماعة من اخوانهم يعيشون في مكة ـ تحت ظل سيوف الشرك .

قال تعـالى : « ومالكم لا تقاتلون في ســبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها . وأجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً » ٧٥ النساء
انهم لا يملكون الا الدعاء .
فعلى الامة ان تقاتل من اجل حمايتهم .
فالقتال هنا دفاع عن النفس « عسى الله ان يكف بأس

الذين كفروا »		٨٤ النساء

وكفّ بأس الكافرين هو الغاية الأولى من القتال .

★ ★ ★

السبب الثاني :

هو الدفاع عن الدعوة الاسلامية وحمايتها .

وهو سبب دائم في كل عصر.لدوام كيد أعداء الاسلام له .

وقد طلب الاعلام - يا وائل - من المسلمين أن يقاتلوا أئمة الكفر - الذين ينتفعون - مادياً أو اجتماعياً - من الشرك .

قال تعالى : « وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ... وطعنوا في دينكم ... فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون »		١٢ التوبة

وقتال أئمة الكفر يهدف الى تحطيم الحواجز ، التي وضعوها أمام دعاة الحق .

فاذا تحطمت الحواجز ، ودخل الدعاة الى الحق بلاد الشرك ، والتحموا بالجماهير ، فان المجال بعد ذلك للعقل

فقط .

وقد دلّت تجربة الهدنة ـ التي نص عليها صلح الحديبية بين المدينة ومكة ـ أن الاسلام دين دعوة واقتناع .

لقد توقف القتال عامين فقط بسبب الصلح .

وحل خلالهما جيش الدعوة ، والاقناع ، مكان جيش الدفاع والردع .

فكانت النتيجة أن تضاعف عدد المسلمين خمس مرات في عامين ـ عن العدد الذي دخل الاسلام في تسعة عشر عاماً ـ تحت ظل السيوف ـ

نجيب : نرجوا توضيح هذه المسألة يا شيخ عارف .

الشيخ : لو استعملنا لغة الارقام يتّضح الامر .

المدة من بدء الدعوة الاسلامية الى أن تم صلح الحديبية هي تسعة عشر عاما .

ومع ذلك كان عدد المسلمين ـ الذين خرجوا مع النبي ـ ﷺ ـ للعمرة ـ يوم صلح الحديبية ـ حوالي الفين فقط .

بدأت الهدنة واستمرت عامين ثم نقضت قريش المعاهدة ،

فقام النبي - ﷺ - بفتح مكة .

وكان معه عشرة آلاف مقاتل .

معنى ذلك ان عدد المسلمين قد تضاعف خمس مرات في عامين ، نتيجة لتوقف الحروب ، وعمل الدعاة .

نجيب : هذه المعادلة الحسابية تكفي وحدها لدفع شبهات المستشرقين .

وائل : فلماذا يدّعون انتشار الاسلام بالسيف .

الشيخ : اعجبني – يا وائل – قول المرحوم عباس محمود العقاد .

« لقد انتصر الاسلام على السيف ، ولم ينتصر بالسيف »

شيماء : ما الفرق بين انتصر بالسيف .. أو انتصر على السيف ؟

الوالد : لا يا شيماء ..

الفارق كبير .. فمعنى العبارة ان الاسلام انتصر على السيوف التي رفعت في وجهه وحطّمها .

لان المشركين رفعوا سيوفهم ثلاثة عشر عاما ، في وجه

الاسلام ، قبل ان يُشرع القتال .

وأنت يا وائل وقعت في خطأ وقع فيه كثير من الدارسين للاسلام .

وائل : ما هو يا شيخ عارف ؟

الشيخ : يخلط كثير من الناس بين الفتوحات الاسلامية ، وبين انتشار الاسلام .

مع أن الفارق كبير .

الفتوحات الاسلامية مسألة عسكرية .

سيف أمام سيف .

تستهدف تحطيم الحواجز ، وفتح الباب امام الدعاة .

اما انتشار الاسلام فمسألة عقلية قلبية .

اذا نجح الجيش الاسلامي في تحطيم الحواجز ، فقد فتحت البلد للمسلمين .

فيدخل الدعاة والتجار ، فيلمس أصحاب البلاد أنفسهم ملامح دين جديد .

جديد في منهجه وسلوكه .

جديد في كفالته حرية أصحاب البلاد .
جديد في تكافله الأجتماعى و احترام الفقير .
حرّم الربا ، وســـوّى بين الناس ، بل أعطى للاقليات الدينية . التي تعيش في رعايته من الحقوق اكثر ممّا أعطى للمسلمين .

وائل : **أعتقد أنك تقصد : مثل ما أعطى للمسلمين .**

الشيخ : لا يا وائل .
لقد قرأت لأحد المستشرقين هذه الشهادة .
واستدل عليها باستدلال قوى .
فقال: ان الاسلام حرم على المسلمين ملكية الخمر والخنزير .
بينما أباح لأهل الكتاب ملكية الخمر والخنزير .
فقد أعطاهم حق ملكية الخمر والخنزير بينما حرمها على المسلمين . فاذا أُتلف مسلم لنصرانى خمره ، أو قتـــل خنزيره يطالب بالتعويض .
بخلاف المسلم لو ملك الخمر أو الخنزير ، فلا يعترف القضاء بماليتهما .

لقد رأى أصحاب البلاد أنفسهم أمام صورة الاســـلام الصحيحة وسماحته .

وقدتزوّج المسلمون من نساء أصحاب البلاد ـ الكتابيات ـ فلم يرغموهن على ترك دينهن بل كفلوا لهن حرية العقيدة، وممارسة العبادة ، وراعوا حقوق النسب ـ مع اختلاف الدين ـ

يا وائل : ان سلوك المسلمين العملي أغنـاهم عن الخطب الطويلة ، والقصائد الرائعة ، لان دلالة الفعـــل أقوى بكثير من دلالة الكلمات .

نجيب : هذه سياسة عظيمة لتأليف القلوب وهدايتها .

عارف : هذا منهج الاسلام الواضح ، وهو تطبيق لوصايا نبيه - ﷺ -

فقد قال : من آذى ذمّيا فأنا خصمه يوم القيامة .

« الجامع الصغير للسيوطى »

وقال : من ظلم معاهـــداً ، أو كلـّفه فوق طاقته ، فأنا حجيجه . « سنن أبي داود »

يقول الاستاذ محمود سامي في كتاب « انتشار الاسلام »
وقد نجح المسلمون في أوربا في الدعوة الى الاســـلام ، وانتشر عدد من مفكري الاسلام في دول مختلفة من أوربا وكانت دعوتهم عن طريق الفكر والمنطق والمحـاولات العلمية .

وقد نجح عدد من جنود الاســـلام المجهولين في الدعوة للاسلام ... وكانوا هم أنفسهم القدوة الحسنة للاسلام .
كما انتقلت ملامح الاسلام الى أوربا عن طريق الافراد والجماعات الذين عاشوا في أسـبانيا تحت ظل الحكم الاسلامي .
ويقول أيضا :
والمسلمون في بلجيكا من أقوى العناصر وأشدهم إيماناً ، وعملا على حماية المسلمين المغتربين في أوربا .

يا وائل : .. لقد انتشر الاســـلام عن طريق التجار الصادقين ، وانتشر عن طريق مخالطة المسلمين مع غيرهم من أهالي البلاد .

ومعلوم ان هذه البلاد لم تفتح عسكريا .
بينما هناك بلاد فتحت عسكريا، وحكمها المسلمون قروناً طويلة ، ثم خرجوا منها ، وبقى أهلها على دينهم .
لم يرغمهم المسلمون على ترك دينهم .
فمثلا .. بلاد الاندلس ، فتحها المسلمون ، وبقيت تحت حكم المسلمين قرابة ثمانمائة سنة ، وخرج المسلمون منها ، وبقى أهلها على النصرانية .
فبلاد انتشر فيها الاسلام ، ولم تفتح عسكرياً .
وبلاد فتحت عسكرياً ولم ينتشر فيها الاسلام (١)

---

(١) يقول « دوزى » عن آثار فتح المسلمين للاندلس :
كان الفتح العربي من بعض الوجوه نعمة على اسبانيا . فقد أحدث فيها ثورة اجتماعية هامة وقضى على كثير مما كانت البلاد تعانيه منذ قرون ، وتحطمت سلطة الاشراف والطبقات الممتازة ، ثم كان الفتح عاملا في تحسين أحوال الطبقة المستعبدة ، اذ كان الاسلام أكثر تعضيداً لتحرير الرقيق من النصاري . =

وهذا يؤكد أن الفتح الاسلامي شيء ، وانتشار الاسلام شيء آخر .

وقد ذكر صاحب « قصة الحضارة » (١) بعض العوامل

= ويقول الاستاذ (لاين بول) « أنشأ العرب حكومة قرطبة التي كانت أعجوبة العصور الوسطى ، بينما كانت أوربا تتخبط في ظلمات الجهل ، فلم يكن سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدينة .

أما المؤرخ الامريكي « سكوت » فيقول : وكان يسمح للورِع المتعصّب أن يزاول شعائره ، دون تدخل ، والاحبار يزاولون شؤونهم في سلام . أما أقوال كتاب النصارى التي ينسبون فيها للعرب أفظع المسالب ، فهي محض افتراء ومبالغة .

راجع « دولة الاسلام في الاندلس

للاستاذ محمد عنان »

ص ٦٣ وما بعدها

(١) قصة الحضارة جـ ١٤ ص ٣٦٣ .

التي ساعدت على انتشار الاسلام في البلاد التي فتحها .
يقول المؤلف عن سماحة الاسلام مع رجال الدين المسيحي واتباعهم .
ان البطارقة ظلوا على كراسيهم بأنطاكية، وبيت المقدس والاسكندرية ، وذلك بفضل سماحة المسلمين .
ويقول : غير أن المسلمين كانوا أكمل من المسيحيين - أصحاب البلاد .
فقد كان المسلمون أحفظ عهداً ، وأكثر رحمة بالمغلوبين ، وقلمّا ارتكبوا - في تاريخهم - من الوحشية ما ارتكبه المسيحيون عندما استولوا على بيت المقدس عام ١١٠٩ ميلادية (١)
أما عن نظام القضاء الاسلامي في البلاد المفتوحة ، وهو أحد عوامل سرعة انتشار الاسلام . فيقول : وقد ظل القانون المسيحي يستخدم طريقة « الحكم الالهى » بالنار ، أو بالماء .

---

(١) قصة الحضارة - ١٣ ص ٢٨٠ .

بينما كانت الشريعة الاســـلامية تضع طائفة من المبادىء القانونية الراقية، يقوم بتطبيقها قضـاة متنورون من المسلمين (١)

---

(١) ملامح القضاء الاسلامي :

١ ـ نصب القضاة، وجعلهم سلطة مستقلة عن الحاكم العام .

٢ ـ أنشأ ـ بجوار القضاء ـ ولاية رفع المظالم ـ «عمر وأصول السياسة ص ٣٤٦»

٣ ـ جعل القضـاء ســلطة فوق الأمراء ـ يراقبهم ويحتكمون اليه ـ حتى الخليفـة اذا تحققـت القضية ضده فمن سلطة القضاء أن يحكم عليه . «الدولة القانونية للاستاذ الدكتور منير البياتي ص ٤٠٤»

٤ ـ وضع دستوراً للقضاء ، وتعتبر رسـالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري هي دستور القضاء الاسلامي . «بن خلدون في المقدمة» ص٢٢٥ =

وائل : ما معنى طريقة « الحكم الالهي » ؟

الشيخ : كانوا يلقون المتهم ـ مكتوفاً ـ في الماء ، أو في النار .

فاذا غرق أو احترق قالوا انه ظالم .

واذا نجا .. قالوا : انه مظلوم .

= ٥ ـ نظم الاسلام جهازاً قضائيا لمراقبة القضاء نفسه .
فجعل من حق هـــذه السلطة ان تنقض أحكام القضـاة ، اذا جاءت مخالفة للكتاب والسنة .
« القضاء في الاسلام للدكتور سلام مدكور ص٢٢ »
وقد ذكر الاستاذ الدكتور منير البياتي ضمانات نزاهة القضـاء الاســـلامي في كتابه ص ٤٤١ وحصرها في نقاط .
اســـتقلال القضاء ، واسس اختيار القاضي ، والقواعد القانونية الثابتة ، وحماية القاضي من العزل ـ الا لسبب شرعي .
« الدولة القانونية للدكتور منير البياتي »

ولكن الاسلام ـ عندما فتح هذه البلاد ـ حكّم القواعد القانونية الثابتة العدالة في الحكم بين الناس .

« قصة الحضارة » للأستاذ ول ديورانت ص ٢٨٣ جـ ١٣

نجيب : الآن عرفنا الفارق بين الفتوحات الاسلامية ، وبين انتشار الاسلام .

وعرفنا العوامل التي ساعدت على سرعة انتشار الاسلام ، سواء منها ما يتعلق بالدعوة الاسلامية ، وما يتعلق بأخلاق المسلمين .

الشيخ : يا نجيب : ان شيئا واحداً يمكن أن نردّ به على المستشرقين ، في هذه القضية العادلة .

نجيب : ما هو يا فضيلة الشيخ ؟

نعرف أن مكة حاربت الاسلام .

أما المدينة فقد فتحت أبوابها أمامه .

فهل يمكن أن يقال : ان الاسلام انتشر بالسيف على أهل المدينة ؟ !

نجيب : لا .. لقد سارعوا الى الدعوة بمجرد أن أدركوا

عظمتها .

وائل : ولكن .. لماذا شاء الله ـ سبحانه ـ أن يجعل من أهل مكة من يعادي الاسلام ، وهم أقرب الناس للنبي ـ ﷺ ـ وعزّه يرفع ذكرهم ؟

الشيخ : يا وائل استمعت الى تعليل لطيف للشيخ محمد متولي الشعراوي قال فيه .

لو كان أهل مكة هم أسرع الناس ايمانا ... لقال خصوم الاسلام : ان العصبية لمحمد ـ ﷺ ـ هي التي خلقت الايمان بمحمد .

ولكن عداء أهل مكة له ، ومناصرة أهل المدينة .

جعلت الكل يقول : إن الايمان بمحمد ـ ﷺ ـ هو الذي خلق العصبية لمحمد ـ ﷺ ـ

نجيب : الله ـ الله ـ الله .

هذا كلام عظيم ...

وائل : يا فضيلة الشيخ :

نجيب : انتظر يا وائل ... فنحن في البستان .. فلابد

أن نأكل الفاكهة أولا ... ثم نستمتع بحديث الشيخ ...

الشيخ : وددت لو أعددت لنا الشاي على الفحم ، فانه أطيب ، ولكن .. أين هشام ؟

نجيب : هشام يجلس على النهر يصطاد بعض السمك .

جلس الجميع يأكلون الفواكه هانئين . في بهجة وفرح وسرور ومرح ، وعاد الشيخ الى الشباب ، في سؤال وجواب .

الشيخ : يا وائل : أي قوّة في الارض الآن تفرض على المسلمين أن يتمسكوا بدينهم ؟

وائل : لا شيء سوى حُب المسلمين للاسلام .

الشيخ : الاعجب من هذا .

أن الصليبيين الذين أغاروا على بلاد الاسلام ، اعتنق بعضهم الاسلام ، وبعضهم انسحب من المعركة بعد أن اقتنع بعقم الدوافع التي جاء يحارب من أجلها .

وقد نمت ملامح الاسلام في نفوسهم ، فنقلوها الى بلادهم ، فظهرت فكرة (الاصلاح الديني) على يد « مارتن لوثر »

في أوربا . (١)

حضر هشام يحمل مجموعة من السمك، [illegible]
بابتسامة، وطلب اشعال النار لطهي السمك ، وتناول الطعام

الشيخ : هل درست يا وائل غزو التتار لبلاد الاسلام ؟

وائل : لقد دمّروا الحضارة، وخربوا كل شيء، وأحرقوا الكتب ، وأسقطوا الخلافة في بغداد .

الشيخ : هذا صحيح . وقد قرأت في كتاب قصة الحضارة « ولسنا نعرف أن حضارة من الحضارات ـ في التاريخ كله ـ عانت من التدمير الفجائي ، ما عانته الحضارة الاسلامية على يد المغول .

قصة الحضارة حـ ١٣ ص ٣٨٠

ومع ذلك فان الاسلام كان أقوى منهم .

كان أقوى منهم عندما هزمهم عسكريا في موقعة « عين جالوت » .

وكان أقوى منهم عندما صبغهم بصبغته ، وهداهم الى

---

(١) انتشار الاسلام للاستاذ سامي محمود .